

مقدمة

# كتاب

التخفة الوفائية  
(في اللغة العامية المصرية)

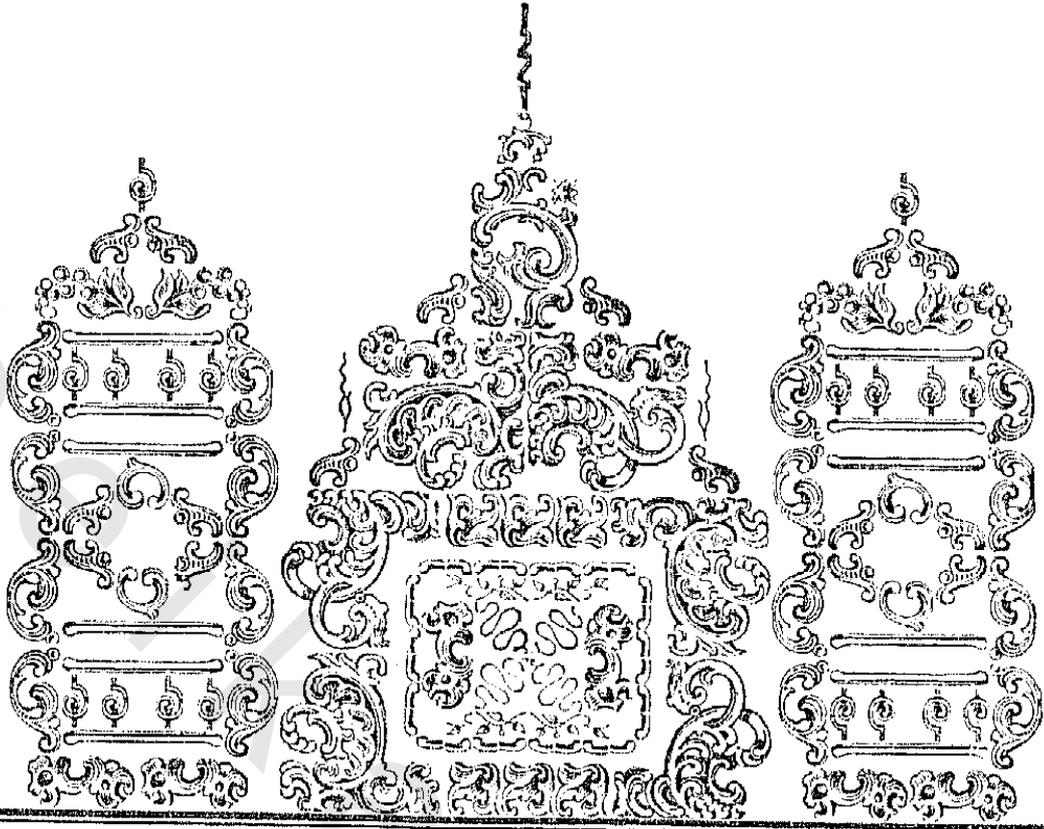
تأليف

حضرة العالم الفاضل التحرير الكامل السيد وفا افتدى محمد  
أمين الكتبخانة الخديوية المصرية

---

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

— ١٧٢ —  
(الطبعة الاولى)



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خلق الانسان علمه البيان اذ يسر له لسانه وأجرى به بانه  
فقام بالاول نظام الكلام وجرى الثاني في ميدان الطروس على  
سوابق الاقلام قضى سبحانه باختلاف اللغات وفي اختلافها آيات  
بينات وحجج باللغات وبيان بين مبانيها ووفق ألفاظها لمعانيها  
فألفت كل أمة لغتها المسموعة وجرت كل لغة على لهجتها المطبوعة  
ألا وإن اللغة العربية أفصحها لهجة وأوضحها محجة وأرفعها شانا  
وأبدعها بيانا وأوسعها نطاقا وأحلاها مذاقا فهي بحر العباب  
وموردها العذب المستطاب لا ينتهي زاخرها الى حد ولا تنتهي  
ذخايرها عندك ناهيك عن اغترف من معين شريعته وارتشف

من عين حقيقتها وتمسك بعروة أديها وتمسك بصدق الرغبة في طلبها  
حتى برز في الخطابة وأحرف فن الكتابة فهو من هدى الى النجدين  
ما أصبح ذابنان ولسان وشفتين فلا تقحم عقبته ولا تثلم حدته ولا  
تبلي بين الوري حدته كلا ولا تأخذ الصروف ولا تنبذه الظروف  
مادام بأصغريه يفهم بقلبه عن ربه ويناضل عن شانه بسنان قلبه  
وحدلسانه ويفاخر بفضله ونبله لابن سبه وطيلسانه عليه السلام والصلاة والسلام  
على من خص باللسان الفصيح والقدر الرحيح والخلق المليح سيدنا  
محمد وآله والناسحين على منواله (أما بعد) فان اللغات العامية  
العربية على اختلافها في سائر الاقطار وان كانت في الحقيقة ترجع  
الى اللغة العربية لاتفاقها معها في جل موادها اللفظية وأساليبها  
الكلامية واشتراكهما في أن المتكلم بهما من أصل الجبله هم  
غالبا أبناء الأمة العربية الا أنها تنفرد عنها في كثير من الاحوال  
لما داخلها من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل منسدة عدة  
من الاجيال حتى صار بهذا الاختلاف الذي شوه محاسنها الاولية  
وقلب صورتها الاصلية وألبسها ثوب الفاقة والعوز وقلدها بعد  
الذي انخرز يعد كل منها لغة برأسه ينكره حسبه ويرأ منه نسبه  
كالساقط بين الفراشين ومن لففته الطبيعة من غير أبوين  
لعبري ان انقسام اللغة العربية الى هذه اللغات العامية قد ترتب

عليه بالضرورة انقسام من يتكلمون بالعربية الى عامة يحول بينهم وبين معرفتهم بالعلوم النافعة جهلهم باللغة التي عليها المعول في تدوين الكتب والاستقرار العلمية وخاصة وهم الذين نسبتهم الى العامة كنسبة العالم الى الجاهل والنابذ الى الخامل فكأنهم هم الذين يستحقون أن يتصفوا بوصف المكافئين ويصدق عليهم وحدهم اسم الأئمة وذلك كما لا يخفى لا يناسب وحدة الجامعة المليية والرابطة الأئمية القاضية على كافة أفراد الأمة بأن تتلاقى في نقطة واحدة هي نقطة المصالح والمنافع العمومية

وحيث ان طريق التدوين للكتب العربية إنما يكون باللغة الفصيحة لاخلاف فيه بين شرقي وغربي ولا بين مسلم ومسيحي ولهذا كانت التآليف العربية عميمة الفائدة بين من يعرفون هذه اللغة خاصة وكان العاجي الذي لا يعرفها من أي قطر كان لانصيب له من هذه العوائد مع أن اللغة من حيث هي تقتضي بطبيعتها أن تكون عامة الاشتراك في المنافع التي تقصد منها بين كافة أفراد الأمة المنسوبة اليها ويجب أن تصدر هذه المقدمة بمقدمة أخرى تتضمن بيان الحاجة والوسيلة النافعة لتوحيد اللغة العربية بين سائر من يتكلمون بها حتى لا يكون هناك خلاف بين عرف التخاطب العام وطريق التدوين الخاص أو يكون الأول على حال يقرب من الثاني لأقل فنقول

## مقدمة

# في بيان الحاجة الى توحيد اللغة العربية والوسيلة النافعة لذلك

﴿اعلم﴾ أولا أن اللغات تعدّ من الاصول الاولية الحافظة لبقاء الامة فان لغة كل قوم انما هي عبارة عن ألفاظ تدل على مآثله حواسهم وتدركه أفهامهم وتألفه أذواقهم وتميل اليه طباعهم وتقضى به عاداتهم وأخلاقهم وتجري عليه معاملاتهم وسائر أحوالهم التي اقتضتها جاهلهم الخاصة بهم وكل ما يدور عليه أمر الافادة والاستفادة الضروريتين لمجتمعهم انما يرجع الى هذه الامور ولهذا كانت كل لغة تحسب من خواص صفات الامة التي هي لغتها من جهتي دوالها ومدلولاتها فان الاولى لم ينطق بها سواها والثانية عبارة عما اجتمع لها من الاحوال السابقة فهي مادامت موجودة عامة التداول يتوارثها الابناء عن الآباء فلا يفقد من أحوال الامة شئ سمي ماله دخل عظيم في حياتها وبقائها أما اذا أهملت اللغة وضاع منها مالا يمكن قيام الافادة والاستفادة الابه والحال أنهما من لوازم المجتمع الانساني فلا بد أن يجعل محلها لغة أخرى تقوم مقامها في أداء هذا اللازم ويتبعها خواصها الجديدة التي تلازمها مما يترتب عليه تغيير في سائر أحوال الامة وهذا هو

الناموس الذي يستوجب بطبيعته تعاقب الالام في الوجود لما يظهر فيها من المظاهر الحديثة التي يتجدد لها بحسبها حكم يتبعه اسم جديد

ثم ان وحدة اللغة تعد شرطاً لوحدة الامة ان لم نقبل انها تعتبر بمنزلة الفصل المقوم لحقيقتها فان المزايا التي تقصد من تلك لا تتم الا بهذه وان الالام لا تعرف الا بلغاتها ولا تتميز الا بها فلا شئ في الحقيقة أجمع من رابطة اللغة ولا أوثق منها ألا ترى أن من يريد الجنس باحدى الجنسيات يجب عليه وجوباً محتماً أن يتعلم لغة من يريد أن ينتظم في سلك جنسيتهم بل نرى بعضاً ممن تعلموا اللغات الاجنبية بالصدفة لا يقصد الجنس أكثر ميلاً الى من تعلموا لغتهم وهم في الحقيقة غير ملومين على هذا الميل فانه لم يكن عن محض ارادتهم واختيارهم بل سرى لهم بطبيعة هذه الرابطة كما أن كثيراً من الاجانب الذين تعلموا اللغة العربية مثلاً وأكبوا على درسها وارتشقوا من رحيق آدابها يميلون كثيراً الى أبنائها ويستحسنون بعض عاداتهم ويصريحون بأنهم أكثر ارتياحاً الى التكلم بالعربية كل ذلك دليل على قوة رابطة اللغة وأنها تفعل في النفوس ما لا تفعله علائق القرابة والنسب وهذا لا يحتاج الى برهان بعد تسابق الالام المتقدمة الى نشر لغاتها

في الاقطار التسعة من أفريقيا وآسيا وغيرها بين الطوائف المختلفة  
لعلمهم بتأثير جامعة اللغات وقد جعلوا نشرها مقدما على الفتوحات  
فتراهم يتزاجون عليه في البلد الواحد فالسابق منهم هو السابق الى  
الخطوة الكبرى والغاية القصوى

وحيث ان المتكلمين بالعربية في جميع الاقطار يعتبرون كذوى  
رابطة واحدة وهي اللغة العربية ولكنهم في الحقيقة قد عدلوا  
هذه الرابطة الشريفة حيث أصبح لكل فريق منهم لغة عامية تميزه  
عن غيره فلا بد حينئذ من تلافى هذا الامر باحياء هذه الرابطة  
ليعم الاشتراك بينهم في المصالح والمنافع

فاللغات العامية هي بمثابة ما يعترى اللغة الفصيحة من التغيير  
والتبديل في بنيتها فهي بمنزلة ما يصاب الجسم الصحيح من الاضرار  
والعلل المزمنة التي تنتهي بانحلاله وتلاشيها ان لم يبادر بها يتفجع  
لايقاف الداء وقطع شأفته واللغات في العالم كالروح للامم فهي  
تكلفهم في خدمتها ما تكلفهم به المحافظة على الارواح

ان اللغات الصحيحة في كل أمة هي التي عليها حفظ قوام الدين  
والعالم النافعة وهما أساس سعادة الانسان لو عدمهما حل به  
الشتائم والهوان فالتهاون باللغات الصحيحة يؤدي الى انهدام هذين  
الاصليين وكفى بذلك خسرانا مينا

ان عوام كل أمة وأعني بهم الذين حرموا من فوائد اللغة وليسوا  
من ذوى الاذواق السليمة والافهام السامية محرومون من فهم  
حقائق الدين لا ينظرون الى نور التربية والآداب الا من سم الخياط  
فاذا حسبوا في ضمن الهيئة الاجتماعية فانما يحسبون بمنزلة  
الآلات والحيوانات العاملة وليس لهم من الجامعة الملية الا اسم  
مسلم أو مسيحي أو اسرائيلي وما داموا غارقين في ظلمات الجهل  
لا يعرفون من الدين الا اسما ولا من الادب الا رسما فهم على  
الدوام يخالفون الخاصة وذوى المعارف في المبدأ والمشرّب ولا  
يعيزون بين ما ينفعهم أو يضرهم الا ما يتسابقون اليه من ما ربه  
الوقتية وغاياتهم الشخصية يتزاحجون عليها تراحم الأنعام على الموارد  
ثم لا تنبت أسباب شرورهم ولا تنقضى غارات مفسدهم ولا  
يتحركون حركة يترتب عليها قصد صحيح ماداموا محرومين من فوائد  
اللغة

ان ترقى العلوم انما يكون بترقى اللغات وليس معنى ترقى الثانية الا  
تعميم الوسائل النافعة لتعليمها وزيادة العناية بها حتى لا يخلص عنانها  
طائفة من الناس دون أخرى فتكون للعامة كما هي للخاصة  
والصناع وذوى الحرف والعاكفين على الفلاحة كما تكون للسياسة  
والعلماء والوجهاء وغيرهم ولا أعني بذلك أن يكونوا جميعا سواء فيها

فان هذا لا يتيسر حصوله مادامت الافهام مختلفة ووجهة الرغبات  
مخالفة بطبيعتها الى فن بعينه لا يتساوى مضمونها فيها ما عداها سيما اذا  
كان ما اليه شدة الميل عليه قوام المعاش فلا نقول للفلاح وذو  
الصنعة اترك ما في يديك واعكف على درس اللغة ولكننا نعني أن  
اللغة هي الجامعة الكلية والرابطة القوية بين أفراد كل أمة فلا  
يليق بواحد منهم أن لا يكون له من فوائدها نصيب سيما ما تمس اليه  
الحاجة كما يتوقف عليه فهم المبادئ الأولية الدينية والادبية  
وكل هذا مما يحتم علينا أن نتلافى أمر هذا الانقسام الواقع في  
اللغة العربية وذلك لا يكون الا بتقويم أود العامية واصلاح  
فاسدها لتتحد وجهة المنافع بواسطة الاشتراك في النتائج العلمية  
والفوائد التدوينية حيث إنه بهذا الاصلاح لا يكون هناك فرق بين  
ما يدون في الكتب وما عليه عرف التخاطب العام ولا يبقى أدنى  
امتياز في مبادئ التعليم العمومية الا فيما يستتبعه التعليم كثرة وقلة  
وذلك لا يضر بأصل الغرض المطلوب متى صارت لغة التخاطب هي  
لغة التدوين اذ من السهل بعد ذلك أن يراعى في التاليف سهولة  
العبارة بحيث يستوى في فهمها العلماء ومن دونهم من سائر  
طبقات الناس على اختلافهم  
فهذه لغة قريش مثلا لما كان لا يختلف المتكلمون بها في شيء

كانوا جميعا يفهمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتأوه عليهم  
من كتاب الله تعالى وغيره من الاحاديث النبوية ولا يفوتهم فهم  
شيء من شعر شعراهم وكلام بلغاتهم وهذه بعض لغات أهم أوروبا  
لما كانت لا تختلف باختلاف التدوين وعرف التخاطب الا في أشياء  
لا تغير من جوهرها نعمت منافع التأليف بينهم وصار ينتفع بها العالم  
كما ينتفع الصانع والتاجر وتسنى للمعترف أن يؤلف في موضوع  
حرفته ما استنبطته أفكاره وأدته اليه أنظاره وتنافس المؤلفون في  
اختيار أسهل ما يكون من العبارات التي هي أكثر دورانا على  
الالسنة والالفاظ المتعارفة لتكون التأليف أكثر تداولاً وأعم نفعاً  
وخصوصاً مؤلفات الادب والتواريخ وما شاكل ذلك مما لا يحتاج  
في درسه الى تعلم اصطلاحات علمية فهذه لا يحول بين العاى منهم  
وبينها الا مجرد تعلم القراءة والكتابة ومتى تم له ذلك أخذ في  
مطالعتها من غير احتياج لموقف حيث لا يجد هناك من فرق بين  
لغة التخاطب التي نشأ عليها وبين اللغة التي دوت بها هذه الكتب  
بخلاف الكتب العربية مهما تبانت مواضعها فهي بعسدة عن  
أفهام العوام كبعد اللغة العامية من اللغة الفصيحة  
لعمرى ان هذا الحرمان الذي يكاد أن يكون عاما بين المتكلمين  
بالعربية لم يكن له من سبب سوى انقسام اللغة الذي ترتب عليه

بالضرورة

بالضرورة انقسام الامة الى طبقتين كل واحدة منهما لا علاقة لها  
بالاخرى الا في الامور المعاشية لا فيما هو من مبادئ التعليم العام  
وليس لهذا الداء العضال من دواء سوى بذل الاجتهاد في تلافى  
أمر هذا الانقسام

نعم ان الحصول على هذا المقصد المنيف يحول دون الوصول اليه  
عقبات حمة أهمها كون اللغة العامية قد انطبعت عليها الالسنمة  
وصار العالم والأديب يجارى غيره فيها عند التخاطب حتى في  
المجتمعات العلمية والمحافل الأدبية وفي مجامع الافادة والاستفادة  
والتعليم والتعلم ولكن متى تحققنا نبالة المقصد لايهولنا في السهي  
وراءه ما نتخيله الآن من هول هذه المصاعب وان بلغت ما بلغت  
ان أمرا كهذا يكون في مبدئه صعبا ولكن الاجتهاد يزبل الأَطواد  
الرواسخ وآفة المشروعات النافعة أن يهملها الخلف بعد السلف أو  
يتبادلها الجاهلون الذين لا يقدرونها حتى قدرها ولا يؤدونها من  
الاعمال ما تستحقه ولا شك أن مشروعنا هذا من أجل المنافع  
فاذا مهدنا له الآن أساسا ثابتا فلا يعدم ان شاء الله تعالى في  
مستقبل أمره رجالا أكفاء يتلقونه بالصدر الرحبة والأيدى  
الطائفة

ان مشروعنا هذا منحصر في اصلاح فساد اللغة العامية ومن أجل

الوسائل النافعة له جعل كل متكلم بالعربية على التكلم بها مع  
مراعاة وجوه الاعراب والأساليب الصحيحة والتحرز عن التعريف  
في الالفاظ بقدر الامكان وذلك لايتأتى دفعة واحدة بل لابد فيه  
من تميم التمرين والتعود وأسهل ما يكون ذلك اذا روعيت معرفة  
العربية الفصيحة في الفقهاء ومعلمي الاطفال الذين لم تنطبع  
ألسنتهم على اللغة العامية والاحداث الذين يمارسون التعليم وألزم  
هؤلاء المعلمون بان يترننهم على الخطاب بها شيئاً فشيئاً بحيث يكون  
أولاً بالالفاظ المألوفة ثم يتدرج منها الى غيرها بتوالي الايام والتقدم  
في أطوار الاعمار

ولما كان انقسام اللغة العربية قد عمّ وطمّ جميع من يتكلمون  
بهذه اللغة الشريفة في سائر الاقطار وكان مالحق فريقاً منهم من  
اضرار هذا الانقسام قد ألمّ بالجميع وكانت حاجة الكل الى تلافى  
أمره لا يختلف فيها اثنان منهم صار من باب التمهيد لهذا المشروع  
الجليل

أولاً أن يجب على كافة العلماء والادباء وكل من يقدر على  
التكلم بالعربية مع مراعاة وجوهها المعتبرة في سائر الاقطار أن  
يغيروا خطة التخاطب بينهم بمراعاة وجوه الاعراب والأساليب  
الصحيحة حتى اذا قرعت خطاباتهم مسامع العامة وصغوا لها وألفوها

منهم لم يلبثوا أن يقلدوهم في هذا الخطاب وان كان أولا على غير هدى  
وهذا من أعظم الممهدات لاتمام هذا المشروع ولاشئ من ذلك  
على هداة الأمة بالمتعذر أو المتعسر خصوصا وهم القدوة والجم  
الغفير بين الأمة وأنت تعلم أن تفصيل ما ينبج عن ذلك من الفوائد  
مما يضيق عنه نطاق البيان ولكن أقول بالاجمال ان هذه اللغة  
الفصيحة تكون بين من يتكلمون بها من أهل الفضل والادب  
كحمة النسب وحلية الحسب فيها يتمزون وبها يتعارفون وتصير  
لهم عشابة وسامات الشرف وعلامات الامتياز

ثانيا أن يتابعوا البحث والتنقيب في ألفاظ اللغة العامية حتى يعرف  
العربي منها والدخيل من لغات أخرى فما كان منها لا يهمل استعماله  
بعد تصحيحه وما ليس منها أهمل بالكلمة حتى يصبح نسيا منسيا  
واعتيض عنه بلفظ عربي ينوب منابه سواء كان من المؤلف للعامية  
أو غيره

وهكذا يفعل بالأمثال والأساليب الكلامية المألوفة للعامية فيهمل  
منها ما كان فاسدا أو سخياف المعنى ويصلح ما يمكن اصلاحه ويقرون  
العمل بقرين الاستعمال حتى مع الدوام والاستمرار تصبح اللغات  
العامية مرقعة الخروق مرقوقة الفتوق وهذا ما دعاني لتأليف كتابي  
المسمى ﴿التحفة الوفائية﴾ في اللغة العامية المصرية ﴿﴾ على شبه

قاموس مرتب على حروف المعجم يشتمل على كثير من ألفاظ العوام  
وأصايب كلامهم المستعملة بينهم وذكر شيء من عوائدهم وأمثالهم  
المألوفة على ألسنتهم للناسبة وقد التزمت في كثير من الالفاظ المحرفة  
والتراكيب الفاسدة أن أفسرها بمعناها ان لم يكن لها أصل ترجع  
إليه أو أفسرها بألفاظ وتراكيب ترد المحرف والفاسد منها الى أصله  
صحيحا مع شرح كثير من الامثال بما ينطبق على ذوقهم بعبارات  
أدبية وقد نجز من هذا الكتاب الجزء الاول ونصف الثاني وكنت أودّ  
لو استقصيت الالفاظ العامية التي لا يعلم لها أصل في اللغة العربية  
من القواميس المطولة لأقف على أصولها وأبئيه عليها في أبوابها  
الا أن هذا العمل يستدعي فراغا تاما وزمنا طويلا ولهذا عقدت  
النية على التقيح والتخوير في هذا القاموس كلما سحت الفرص  
وساعدت المقادير حتى يأتي ان شاء الله تعالى على وفق المراد  
وقد قصرت هذا القاموس على المستعمل من اللغة العامية في مصر  
وغالب البلاد البحرية المصرية اتكالا على أن زملائنا الذين سيدون  
الينايد المعونة على هذا المشروع الجليل في سائر الاقطار العربية  
سينال كلا منهم بحق القسمة العادلة نصيب منه يعادل نصيبنا أو  
يرجح عليه فيجدو كل منهم مثل ما حدونا ويقصد وجهة ما قصدنا  
ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لهذه الخدمة الجليلة انه على  
ما يشاء قدير

هذا وليكن في علمك أن ما أضرار اللغة العربية الى هذا الانقسام  
انما هو ما حصل عقب الفتح الاسلامي من اختلاط العرب بالعجم  
بحكم انضواء الجميع تحت لواء الدين الاسلامي المنيف وما ترتب على  
ذلك من حصول التغيير في اللغة بسبب تراحم اللغات وتباينها وما  
ساعد على ذلك من اشتباك الحجة الانساب والقربات بين المختلفين  
حتى انه لم يمض بعد ذلك الا امد قصير حتى تبلبل اللسان وأصبح  
كأنه ما كان وقد خيف عليه الضياع بعد ما تغيرت منه الابنية  
والاوضاع فقام حينئذ ذور النفوس الأبية والشمائل العربية  
وشدوا حيازيمهم لتلافي ما عساه أن يذهب من هذه اللغة البقية  
فحاطوها من الحفظ بسور ودقونها تحت حدود وأصول وتبع هؤلاء  
أناس حذوا حذوهم ونهجوا طريقهم فأوسعوا لها في التدوين  
لتكون على أساس راسخ مكين الا أن ذلك لم يحل بين عامة الناس  
وبين ما ألفوه من التغيير فيها والتبديل اذ عمت بذلك الباوى وكان  
على اللغة من النوازل الكبرى حتى آل الاله بها أخيرا الى أن  
صارت محفوظة في السطور لافي الصدور ومضى على ذلك زمان  
ومرت عصور

لكن الله جلت قدرته قبض لهذه اللغة الشريفسة من لا يزالون  
يتأبرون على خدمتها من أفاضل الملوك والاهماء وذوى العلم من

الوزراء والنبلاء يتقدمهم أميرنا الأنفم رافع منار العدل ومن  
في كل منقبة كريمة ومنفعة عميمة له الطول والفضل صاحب  
الدولة والأقبال والصولة والمهابة والأجلال خديونا الهمام  
(عباس باشا الثاني) حرسه الله بعينه التي لا تنام وحفظ آله  
الكرام ومن ينهج سبيله السوي من رجال حكومته الفخام  
على مر الأيام والأيام فإله أيده الله منذ أن جلس على الأريكة  
الخدوية وهو يلحظ هذه اللغة وغيرها من المعارف العمومية بعين  
الأهمية اعتناء بتعميم تعليمها بين الرعية حتى أصبحنا نفاخر  
بالمدراس الأهلية في سائر العمالات المصرية

وما زالت هذه اللغة تنمو في مهد التعليم حتى بلغت أشدها وملاكت  
رشدتها وبقدر ما بلغت من النمو والظهور صار للغة العامية من المحو  
والدثور وهكذا بعد أن كان الناس ينكرون اللغة الفصيحة صاروا  
يعدون استعمال العامية من العار والفضيحة وبعد أن ذاقوا من  
الفصيحة أحلى مذاق وحاق بأذواقهم من العامية ما حاق وهم  
يغضون عنها الطرف غضا ولا يولونها قبولا ولا رفضا أصبحوا  
يتساءلون عنها ليتوسلوا إلى الخلاص منها وهذه عناية أخرى  
ومنة كبرى ترفع من قواعد هذه اللغة بنينا وتجهل لها بين  
الخليقة شانا

وإننا بلسان كتابنا هذا ننشر من عمير الثناء ما ينفع عطره ويضوع  
نشره ويخلد في صحائف التاريخ ذكره على ما يستلذه سراة الأمة  
وأعيانها وأما جدها وأركانها من نفائس المسكافات وأنواع المبرات  
لتلامذة المدارس الخائزين قصب السبق في مضمار الفنون العربية  
فإن التسابق إلى هذه الأعمال الخيرية التي هي عنوان الغيرة  
العربية والنخوة الوطنية مما يزيد هذه اللغة الشريفة اعتبارا  
ويورثها مجدا ونقارا لعمرى وإن كان هذا مما يعتد من نوافل الخير  
المنسوب إليها ولا يمكنه في الحقيقة بحسب في عداد الفروض  
والواجبات فإنه مما يعود على الأمة بالشرف الباذخ والعز الشاخب  
على أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة من زادها فضلا على فضلها  
أذ صير لها في هذا العصر الأخير شأنا فطارصيتها إلى الأمم الأفرنجية  
فجعلوها في المحل الأول وعولوا على درسها ونشرها كل معول وتنافسوا  
في طبع كتبها النفيسة واهتموا أولا بالكتب التي هي لقوام بنيتها  
كالأعضاء الرئيسة فحازت بذلك فتحا جديدا وعمرا مديدا وحظا  
سعيدا ومن باب تبادل التعاون على خدمة هذه اللغة قد لحظت  
في تأليف كتاب الخدمة خدمة إنسانية أخرى إذ رأيت أنه نافع  
للذين يهمهم درس اللغة العربية من الأجانب الذين لا يميزون بين  
العامي منها والنصيح

وحيث كانت خدمة اللغة العربية هي المقصودة بالذات من هذا الكتاب وكانت هذه الغاية الشريفة والوجهة المنيفة لا تتم فائدتها ولا تظهر أهميتها الا ببيان ما ترتب على انقسام اللغة الى عامية وفصيحة وذكر أنفع الوسائل لتوحيدها وجمع شتيتها بواسطة المشروع الذي شرحناه وبيان حال اللغة العامية بالقياس الى الفصيحة وتفصيل بعض الاسباب النافعة لترقية هذه حسب الامكان وكانت مراعاة أصول الكتابة العربية واستكمالها لدى كل كاتب من تمة مطالب اللغة أيضا وكان التكلم على اللغات من حيث كونها توقيفية أو اصطلاحية أشد مناسبة لهذه المواضيع استدعى ذلك كله أن نصدر كتاب التحفة بهذه المقدمة الكافلة ببيان هذه المطالب وقد فصلناها الى مقدمة وأربعة فصول فالمقدمة في بيان الحاجة الى توحيد اللغة العربية كما هو عليك

الفصل الاول في ذكر بعض الاسباب النافعة لترقي اللغة العربية وتعميم الانتفاع بها

الفصل الثاني في أنه يجب على الكاتب مراعاة أصول الكتابة العربية وذكر نبذة من آلتها وطرفه من تاريخها مسلسله الاسناد الى الزمن الحاضر

الفصل الثالث في الكلام على اللغة العامية من حيث ما يتعلق

بها من الفنون العربية لتعلم حالها بالقياس الى اللغة الفصيحة  
ويتبع هذا الفصل نبذة في الرد على ابن خلدون في زعمه أن لغة  
العرب في عهده تساوى لغة مصر الا في حركات الاعراب  
الفصل الرابع في اختلاف العلماء في اللغات هل هي توقيفية  
أو اصطلاحية واستيفاء الدلائل القاطعة بأنها توقيفية  
وقد تجرنا في بعض هذه الفصول النقول الصحيحة والنصوص  
الصريحة فجاءت كلها منطبقة على ما جادت به القريحة واني  
ماعتوت في الكثير من مطالب هذه المقدمة الا على سائحات الافكار  
وصحيجات الانظار فكانت بحمد الله على طرز ما حيك على مثاله  
ولا تسج على منواله وبالله التوفيق

الفصل الاول في ذكر بعض الاسباب النافعة لترقي اللغة العربية

﴿اعلم﴾ أن اللغة العربية لها أسباب خصوصية بها ترتقى الى أوج  
الكمال وتستوفي نصيبها من المدنية والحضارة فمن هذه الاسباب  
أن يراعى فيها حالة هذه الحضارة فيختار لها الكتاب من رقة  
الاساليب وعذوبة التركيب وسهولة المآخذ الكلامية ما به  
تضارع حالة الاممة وأن يراعى في طرق البيان من تشبيه وتمثيل  
وكناية ومجاز وتورية الى غير ذلك ما يشير الى حالتها الراهنة ويوحى  
الى مبلغ قوتها وما وصلت اليه يدها من الصنائع المختلفة وما

شرعته من طرق العدالة وما هو ذائع فيها من الاخلاق الفاضلة  
وفاش من ضدها لتسكون الحالة العمومية نصب عين كل مطالع  
ومطعم فكر كل قارئ وسماع فيكون كل ما يكتب أو يقرأ أو يسمع  
من هذا القبيل سواء كان من ضروب التعيير والذم أو من نوع  
الثناء والمدح أدعى لاستمالة النفوس الى محامد الفعال ومحاسن  
الخصال وأردع لها عن مساوى الاخلاق وسفاسف الامور  
فمثلا اذا اراد الكاتب التمثيل بشئ لتقرير معنى في الازهان فان  
كان في موضوع المدح تسنى له أن يشبه وضع الشئ في محله  
بالحكم العادل مثلا وصورة الكمال بالقاضي الفاضل والحزم برجال  
الشرطة والامانة بالصيرفي والخازن والثقة بالامير والنصيحة بالمشير  
والصدقة بالكاتب والمضاء في الاعمال بسير قوة الجزار الى غير ذلك  
وكأن يقول فيمن يلوح على حجاب سمسة القرح والمسرة مثلا  
كأنه أمير معتبط بإقبال الأمة عليه كأنه أمة نالت حظوة بأميرها  
مأشبهه بمن أحرز باخلاصه في خدمة الأمة نباهة الصيت وحسن  
السمعة . كأن الأمة وكأت اليه عملا جليلا فقام به حق القيام  
فأنزلته منزل الاجلال والاكرام . كأنما بشر بولاية منصب رفيع  
عن كمال أهلية واستحقاق . كأنما رأى أنباء آثاره النافعة مسطرة  
في صفحات الجرائد مطرزة بحسن الثناء فهش لها وبش . كأنه

أحرز أجلّ مكافأة على عمل جليل . كأنه نال أنفس جائزة على  
إحكامه في صنعه وتبريزه في فنه . كأنه يقبل عليك اقبال من  
يحب الخير لأبناء وطنه . كأنه سمع حديثه بأنه من ذوى الجسد  
والاجتهاد . كأنه رئيس جبل على الموادعة فجعلها على الدوام سنة  
متبعة . كأنه عامل لم يؤخر لغده عملا واجبا الا أداءه . كأنه راجع  
سجل أعماله فلم يجد فيه لوثة تسود وجه أمانته . كأنه علم منزلته  
في القلوب فحاسب نفسه على حسن السيرة وطهارة السريرة . كأنه  
عرف حربة ضميره فهو عنه واضح . كأنه علم بأنه أينما حلّ يقابل  
باحتراف واحترام . كأنه عرف بنبالة المقاصد وسلامة النوايا فصار  
قريب العين من تاح القواد . كأنه لم يكشف ضميره بسيدة فيوجب  
عليها . كأنه الآن يجنى ثمار أعماله النافعة ومقاصده النبيلة  
كأنما سألته القضاء . هذا الامر وقع عنده موقع الرأفة في مجلس  
القضاء . كأنما حكم له لاعليه . كأنه كاتب أصاب الغرض ووافق  
المراد . كأنه بشر بخطوة اخوانه فلاح عليه فرح واستبشار  
ثم يقول فيمن يلوح عليه علام القلق والاهتمام مثلا  
كأنما سبق الى مجلس القضاء . كأنما نفذ عليه حكم القضاء . كأنما  
فصل له القضاء ثوب عقاب على قدر جرمته . كأنما قضى على بري  
كأنه مرتش لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار . كأنه مستبد بين أحوار

كأنه كاتب يكتب عريضة عقابه بيده . كأنه بات من رئيسه على  
 حذر . كأنه خان الأمة والوطن . كأنه أمة ضاعت حقوقها . كأنه  
 شرقي يطلب حقا من غربي . كأنه تلميذ ضاع اجتهاده . كأنه  
 فلاح بين دائنيه الاجنبيين . كأنه صرّوس لمن لا يرى له إلا  
 ولازمة . كأنه معلم أطفال عزل بالاهمال . كأنه ممن خانه بخته  
 ورجني عليه حظه . كأنه أباي النفس يفضل الحرمان على ملابسة  
 الهوان . كأنه صانع ماهر لا يرى لصنعه رواج . كأنه محق بين  
 مبطلين أو مبطل بين محقين . كأنه نشأ في منشا وخيم وصرّبي ذميم  
 حتى اذا كبر فاجأته المعارف العصرية بمالم يكن له في حسابان فهو  
 يئن منها أنين المريض ويتأمل تامل السليم . كأنه ظالم كلف بالعدالة  
 أو عامل لازم البطالة . كأنه شريف قضى عليه القانون على غير  
 عادة . كأنه مهتد في مركزه فهو يتوقع الأذى . ويغض جفنه على  
 قذى . كأنه أصبح غرضا لسهام الغيايات والاعراض . كأنه عزيز  
 النفس بين متعلقين . كأنه لم يتوسم من مستقبله نجاحا . كأن راتبه  
 دون ما يستحق . كأنه موظف في غير مارشح له . كأنه مبدر ضاعت  
 أمواله وساءت أحواله . كأنه موظف مدين . كأن في عهده كل  
 مدخر ثمين . كأنه مسؤول عن أمر عظيم . كأنما أعلنه غريم  
 كأنما خابت مساعيه . كأنه في خيفة من حاسديه . كأنما سخط

عليه معلوم . كأنما حكم عليه مختصموه . كأنما يحاول اصلاح  
فاسد وتقويم معوج . كأنما يتولى أمر أمة جاهلة . كأنما ظهر  
عليه الغش والخديعة . كأنما أضاع وقتا نفيسا . كأنما يتعلم في  
زمن المشيب . كأنما يعادى عشيرته . كأنما يغالب طبيعته  
وكذلك يحذو حذو الأمثال العربية بعبارات تجرى مجراها كان  
يقول مثلا

أحبّ من وال لرعيته أطوع من رعية لوالها أعرف بالامور  
من وزير أرح عقلا من مدير أجل من رعاية الذمة أحسن  
من دوام الوفاء ألحن في الحجّة من محام أبين خطابا من خطيب  
أنطق من خطيب أكثر موادعة من رئيس ألين عريكة من  
رئيس أعلم من قاض أهدي للصواب من قاض أثبت جاشا  
من قاض أصدق من قاض أروغ من مزور أظلم من اص  
أصدق من كاتب أحق من مقامر أيقظ من خفير أحذر  
من خفير أحرص على الافادة من معلم أمهر من صانع أحلم  
من قاض أروح من حكم عادل أثقل على النفس من حكم  
جائر أخبت من رشوة أذل من مرثش أحرص من مراقب  
أنفذ من معاون أمضى من مساعد أمشى من ساع أسمع  
من بوليس أنمّ من مخبر أوعى من تليذ أطوع من جندي

لقائده أخوف من سارق أذل من متلق منافع أكثر من خبرا  
من ذى خبره أنظف من سجين أشهر من مرافعة أبرأ مساحة  
من متهم لا شاهد عليه أسمع من تليقون أنم من تليقون أنم من  
تلغراف أوجز من تلغراف أحفظ من فونوغراف أبصر من  
مكربسكوب أضل من باللون أضوأ من كهرباء أكتب من  
مطبوعة أسرع من وابور أشهر من صحف الاخبار أنم من  
صحف الاخبار أجوب للاتفاق من صحف الاخبار أنم عرضا  
من خمار أجهج من زينة أضيع رشدا من سكير أوقح من  
مكارى أوقح من مخنث أنم عرضا من بغي أعرف بطرق  
الخطى من قواد أبلج من شحات أسمع من شاهد الزور أوبأ  
من كوره أشأم من كوره أعلى من كوره أوبأ من مستنقع  
أبخس من موازين الباعه أخس قدرا من حشاش أجمع  
من بنك أعرف بالعقاقير من صيدلى أشجع من جندي أقدم  
من بوليس أحزم من بوليس أحفظ للأمن من بوليس أكثر  
تجسساً من بوليس أكذب من رمال أكذب من رجال أشد  
إلحاحاً من سمسار أعرف بمواقع الغش من دلال أقدر من لوطى  
أدنى همة من زيرنساء أحفظ للعدل من رجال القضاء أحفظ  
للحق من محكمه أضرّ على الامن من سكان البوادي أخفى من

مهرفة الجاني بين سكان القرى أكثر غايات من مشايخ القرى  
أكثر شغبا من مشايخ البلاد أقرب للقوضى من سكان القرى  
أعدى من لص أشقى حالا من متكفف أروع لظالم من قانون  
أعرف بالناس من سياح أعرف بالبلدان من جغرافي أدري  
بالسير من مؤرخ أكيس من سياسي أصنع من مصور أنبه  
من رياضي أبغض للتقليد من طبيعي أكثر تنقيبا من طبيعي  
أعرف بالخواص من كيمائي أشد احتياطا من سياسي أعرف  
بالأم من سياسي أخط من مهندس أحسن من ميقاني  
أعرف بالمواقيت من فلكي أشهر من مخترع ألين عريكة من  
مؤدب أهيب من مؤدب أسمح أخلاقا من معلم أساس  
قيادا من متعلم أبكي من نائحه أكثر تجارب من طبيب أطيب  
ننسا من طبيب أرفق من طبيب أكثر جولا نا من عربي  
أوسع دائرة من ديوان أهم من مصلحة أجمع من مكتبه أنفع  
من مكتبه أطب من مستشفي أهيب من جيش أعجب من  
متحف أحفظ من متحف أعلى من منار أهدي من منار  
أدل من بوصله أسير في الآفاق من ملاح أعرف بطبيعة  
الأرض من فلاح أعرف بالأبان من مزارع أسوم من تاجر  
أهل من مدرسه أنفع من نافعه أدوق من طاهي أسرع

حركة من مشهور أحكى من شخص أو عظ من تيارو  
أطلق سراحا من رقيق أفسد أخلاقا من خادم أنفس من  
عرض مخترع أجل من صنعة مبتدعه أجدى من طريقة  
متبعة أحسن سمتا من فقيه أعرف بالعوائد من مشرع أسلم  
خطأ من أصولي أسمع من فضولي  
وهكذا ينهج في طرق البيان من تمثيل وتشبيه وتورية وكناية  
وتعريض بما يشير الى المبتكرات الحديثة والمخترعات الجديدة ويؤى  
الى الاوضاع وسائر الاحوال التى تحسب فى تاريخ الامة سواء  
كانت من المناقب أو المثالب وبذلك تكون اللغة قد استوفت  
حظها فى قسط عظيم من حالة الحضارة الحاضرة ولبست بذلك ثوبا  
قشيبا واطرحت أطمارها البالية التى لم يزل طراز تشبيهاتها مثلا  
محبوك الاطراف بالغول والعنقاء والخشف والجؤذر ورضوى وثبير  
والغزالة والغزال والاسد والشمس والبدر والهلال والنجم والغمام  
الى غير ذلك مما يعد استعماله الآن غير ملائم لحالة الامة الحاضرة  
بعيدا عن مثل أغراض الكتاب الذين لهم فى كل مقام مقال  
ينسجون الكلام على منواله ويراعون به فى كل زمان مقتضيات  
أحواله ولهذا يسمون أمراء الكلام بين الانام  
وكما راعى فى البيان التمثيل بما فى أنواع الصنائع وغيرها من

المحسنات والمبتكرات كذلك يراعى حالة الاحساسات والعواطف  
الصادقة التي يتجدد لها في كل زمن منازع وأميل تختلف اليها  
وتكلف بها كلف العاشق بالمعشوق فلا يجعل البيان منفعها بالنخافخ  
الظنانه والشقاشق الرنانه في معرض المديح مثلا إرضاء  
لبسطاء العقول مما لا يعده ذوو النقد والاستبصار الامن باب  
الخدیعة والتويه على النظر احتيالا لقضاء الاوطار بل يراعى  
فيه ما قيل اليه العواطف والاميل الصادقة حرصا على اجتناء  
الفوائد النافعة من أبوابها وصونا لناموس الآداب على طلابها  
فيصف كل فرد من أفراد الناس بخصائص صفاته وخصايه التي  
ينبغي أن يكون متصفا بها حريصا على حفظها حسبما تقتضيه  
خصوصيات هرکزه وواجباته الطبيعية التي أهله لأن يكون  
عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعية

وكذلك لا يتجاوز في شرح المثالب أيضا حدا يخرج به عن حقيقة  
الواقع فان ذلك لا يكون داعيا لكبح النفوس عن غيرها كما يتوهمه  
الواهمون بل قد يكون سببا يدعوها الى الاسترسال في طرق الغي  
والضلال والاصرار على منكر الفعال وحجة لمن يرمى بهذه  
المثالب على براءته منها سيما اذا كان هذا التغالي في وصفها قد  
تضمن ذكر ما يستحيل وقوعه عقلا أو عرفا وان صدق من بعض

الوجوه فان الدعوى اذا تطرق اليها الفساد وإن من وجه واحد كانت برمتها أقرب الى البطلان فالمدح والثلب ان خرجا عن حد الحقيقة كنا عقيبي الفائدة بل صارا الى الضرر أقرب وبقساد الاخلاق أولى وأليق وهذا باب مهم يجب الاعتناء به خصوصا فيما يقصد منه تهذيب النفوس وتثقيف العقول لاسيما في الامم الحديثة الناشئة في المدنية وقد ذم الله تعالى الشعر والشعراء في كتابه العزيز فقال سبحانه (والشعراء يتبعهم الغاؤون) الآية لما كان غالبه مبنيا على الاغراق والغلو في المدح والذم حتى قيل ان أعذبه أكذبه ووزنه الله عنه كلامه ومقام نبويه الكريم فقال جل وعلا (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) فكل كلام مبني على الغلو الذي يخرج به عن دائرة الصدق شعر مذموم يجب تجنبه توقيا من المخذورات التي منها ما شرحناه آنفا

ولقد عمت وصمة الاغراق والغلو في المدائح والمنال بين كثير من الكتاب حتى صار لا يعد الكلام بينهم بليغا الا اذا توفرت فيه هذه الصفة ولهذا السبب اتهم كثير منهم بعدم الصدق والامانة وسقطت محرراتهم عن درجة الاعتبار وصار كل ما يروى عنهم أو يسند اليهم لا يخلو من المطاعن والمظان وكانت هذه الطريقة بعينها من أعظم الموانع لتقدم صناعة الكتابة وارتقائها اذ كانت هي الحاملة على

أن يلتزم في الانشاء معاناة التكلف والتعسف فوق الحاجة وستقف  
ان شاء الله تعالى على مضار ذلك في الفصل الثالث من هذه المقدمة  
ومن أسباب ترقى اللغة أن يراعى فيما يكون من التأليف  
المعدة لتعليم الفنون العربية أقرب الطرق وأسهلها وأوفاهها  
وأشملها وأن يكون اختصارها وتطويلها بحسب درجات المتعلمين  
بحيث يكون التعليم للمتعلم كالغذاء للطفل يزداد عليه شيئاً فشيئاً كلما  
تقدم في السن وان تكون هذه المؤلفات مشتقة على كثير من  
الشواهد العربية والأمثال الادبية واللطائف التاريخية من مشهور  
ومنظوم لينتقل المتعلم من شاهد عربي الى مثل أدبي الى طرفة  
لطيفة الى نادرة غريبة فيخف عليه عبء التعليم وتنشط نفسه  
اليه ويكون ما يتعلمه أثبت في ذهنه ويستعد بذلك للدخول الى  
صناعة الكتابة والانشاء فان جعل هذه المؤلفات قاصرة على سرد  
القواعد خالية من الشواهد والأمثال الا ما يكون من قبيل مررت  
بزيد وضرب زيد عمرا مما يصير به التعليم جافاً عقيم القائدة وهذا  
هو السبب الوحيد الذي كسدت به صناعة الانشاء وصير الدخول  
اليها لطالبه من أبواب مخصوصة بعد استيفاء الاطاعة بالفنون  
العربية ولا يخفى أن جعل المتعلمين على قسمين مستقلين بلا  
حاجة تدعو اليه مادام هنالك مندوحة لغيره من باب الشطط

والتعسف وأنت لو اطلعت على كتب المتقدمين من علماء العربية الذين شيدوا معالمها ورفعوا قواعدها رأيتهم حذوا فيها على مثال صير المعلمين متزججين امتزاج الروح بالبدن وهكذا فإن الوسائل الصحيحة مستلزمة لغاياتها بالضرورة ولا شك أن البيان الصحيح بجميع ضروبه هو الغاية المقصودة من تعلم الفنون العربية نعم إن اختيار أفضل الأساليب لهذه المؤلفات مما يحتاج فيه إلى نقد وثقة تمن وحسن رؤية واشتراك في الرأي وتوافق في النظر لأن تغيير الأوضاع المألوفة إلى طرق ملائمة لفهام القاصرين في كل حال من أحوال التعليم مع مراعاة ما يجب لكل مقام يستلزم أن يكون الواضع ذاموهبة سامية يعقدر بها على الابتكار والاختراع ولا شك أن الفنون العربية تختلف في ذاتها وبالنسبة لمدارك المتعلمين فمنها ما يحتاج فهم مطالبه إلى تخيل كثير من المعاني العقلية وتعمل في المعنويات أكثر من اللفظيات كفن البيان والمعاني وبعض البديع ومنها ما يرجع تعمل الفكر فيه إلى الأمور التنظيمية أكثر من المعنوية كالنحو والصرف والعروض ولا شك أن كل ما يتعلق باللفظيات يكون أقرب إلى الفهم مما يتعلق بالمعنويات فلا بد أن تكون عناية المعلمين بالثاني أعظم فيدخلون إليه من أبواب ألفها الطالب ويتوسلون إلى المباحث الخصوصية بالعموميات فيبدؤون بها

ولا يضرهم بشئ خروجهم عن سنن المتقدمين في أكثر المطالب والا فكيف يفاجأ الطالب المبتدئ أولاً بتعريف المجاز مثلاً بأنه ( كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة عن ارادة المعنى الاصلى) من قبل أن يعرف ماهى الكلمة وما هو الاستعمال وما يكون منه حقيقياً أو مجازياً وكيف يتسنى له أن يعرف العلاقة من غير أن يتقدم له كلام في التشبيه وأركانه التى منها وجه الشبه وكيف يباغت بأقسام التشبيه من غير أن يعرف الامور الحسية والمعنوية ومن أين يتألى له معرفة القرينة بدون أن يعرف الغرض المقصود من استعمال المجاز وانه لا يتم الا بذكر ما يمنع من ارادة الحقيقة فاذا أحاط بهذه الامور كلها جاز حينئذ أن يقال له ان المجاز هو الكلمة الخ

ثم قبل الدخول معه فى الكلام على أقسام الاستعارة لابد عليه أن يعرف الجامد والمشتق من الاسماء ثم اذا عرف المعنى المستعار منه والمعنى المستعار له سهل عليه أن يعرف لوازم كل منهما وتسنى له حينئذ معرفة الترشيح والتجريد وهكذا الحال فى المجاز العقلى يستدعى أن يمهده له أولاً بتعريفه الاسناد من حيث هو ثم تقسيمه الى حقيقى ومجازى ثم التسدرج به من ذلك الى ذكر العلاقات على اختلافها فاذا بلغ الى هذا الحد من علم البيان فلا إخلاله بجهل أن

الحقيقة والمجاز على اختلاف شروطه انما هما سبيلان لمعرفة أداء  
المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة وضوحا وخفاء فقد آن يقال  
له حينئذ ان البيان هو (علم بأصول يعرف به كيف يؤدى المعنى الواحد  
بطرق مختلفة الوضوح فى الدلالة) اذ لو قيل له ذلك حال شروعه فى  
الفن وكاف وقتئذ بعرفة هذا الحد أو ما يكون من قبيله لهد من  
باب التكليف بما لا يستطيع ولقال فى نفسه انه اذا كانت هذه حال  
مبادئ الفن الاولية فكيف بمسائله الثانوية فيغل فهمه ويغل من  
نشاطه ولا يتوهم الا صعوبات دائمية حتى اذا ورد عليه بعد ذلك  
شىء من المعلومات له عندها من الالغاز والمعيات وناهيك بتأثير  
الاهام فى النفوس

ولا يخفى أن التعلم انما هو نوع من أنواع حركة الفكر من المعلومات  
الى المجهولات فهلى المعلم حينئذ أن يأتى المتعلم أولا من ناحية ما يعلم  
توصلا به الى ما لا يعلم وأن يراعى حالة الارتباط بين المعلومات ليتأدى  
التعليم على وجه تام ويلزم أن يراعى أيضا فى ترتيب فصول كل علم  
ومسائله ما بينها من المناسبات وكلما كانت هذه أبين وأوضح كان  
التعليم أسهل وأنفع والعكس بالعكس وعلى كل حال فالبدء  
بالمعومات التى هى فى قوة المعلومات ان لم تكن منها بالفعل أمام  
كل علم وكل مطلب أمر لابد منه ليسير التعليم على النهج الطبيعى

وحيث ان كتب التعليم المذكورة يجب أن تكون على أسلوب  
يوافق الأذواق المختلفة والمشارب المتباينة فلا ينبغي حينئذ أن  
يتولى تأليفها شخص واحد سيما وان اختيار الامثال والشواهد  
التي تكون خلال بيان القواعد مما لا تستقل به حافظه واحدة  
ولا يعتمد فيه على ذوق واحد فإذا صارت على هذا الأسلوب  
أصبحت ككفيلة بالفوائد وافية بالمقاصد والله الموفق والهادي  
الى صراط مستقيم.

ومن أسباب ترقى اللغة اتساع نطاق التعريب وهو نقل الكتب  
العلمية المفيدة والاسفار النافعة من لغاتها الاجنبية الى اللغة  
العربية ليعم تداولها ويسهل تناولها وليس من واجبنا الآن أن  
نعين ما تجب العناية به أولا من هذه الكتب على اختلاف فنونها  
فان الميل الى كل نوع منها يختلف باختلاف الرغبات فمن الناس  
من يميل الى ما يتعلق بالصنائع ومنهم من يميل الى ما يختص  
بالشرائع والسياسة ومنهم من يرغب في الكتب الزراعية أو  
الطبيعية أو الرياضية أو الطبية الى غير ذلك وهذا الميل تارة يكون  
طبيعيا وتارة يتسبب عن الاشتغال بما يتعلق بفن خاص فان  
الزارع مثلا يميل الى فن الزراعة والصانع الى الصناعة والمشرع  
والسياسي الى التشريع والسياسة وهكذا

ولاشك أن كل فن تمس إليه الحاجة وتستدعيه المصلحة العامة يعاين  
من الأمور الضرورية لمساعدة الأمة ولا يقدم غيره عليه إلا بالاعتبار  
ومتى كان الميل على اختلافه حقيقيا عاما في الأفراد انبعثت  
النفوس بقوة قاهرة إلى تحصيل المرغوب وكان هذا ما يعبر عنه  
بالنهضة الصادقة الوطنية فتبادر كل طائفة إلى ما يبيل غليل شوقها  
بتعريب كتب الفن الذي تشتد حاجتها إليه فلا ترى حينئذ إلا جانا  
تتعقد ومجالس تحتفل وعمالا تبشر الأعمال بشوة ونشاط وصدق  
واخلاص فتقوم من فضلاء المقننين مثلا أمة تدعو إلى تعريب  
الكتب النافعة لنن التقنين وتبرزها طائفة المحامين ثم يحذو  
المزارعون سبيل أرباب الدوائر الواسعة حذو هؤلاء فينشرون النافع  
من الفنون الزراعية باللغة العربية على كافة من يتولون أعمال  
الزراعة ويقتدى بهم الصناعون والرياضيون والطبيعيون كل  
بحسب ما توجهه عليه حرفته ثم يعزز العلم بالعمل تتيما بلجة هذه  
الرتائب الجليلة والمشروعات النبيلة ان ذلك سهل يسير على ذوي  
البصائر والالباب من فضلاء الأمة وأعيانها ووجهائها  
واقدرنا وسر كل من يريد الخير لا بناء وطنه ماتلقيناه عن أفواه  
الجراند من تأليف جمعية بنيلية من أعيان الوجهاء والفضلاء تحت  
رياسة العالم الناضل الكامل سلالة السادة الاماجد الاستاذ محمد

توفيق البكري ووكالة كل من حضرتي العالمين الفاضلين الاستاذ  
الشيخ محمد عبده والاستاذ السيد محمد محمود الشنقيطي وقد علمنا  
أن مقصدهما الذاتي خدمة الفنون العربية فبشرنا بأن سيكون لهما  
عناية باتساع نطاق التعريب وليس هذا بالأمر اليسير في جانب أعلام  
الفضائل أعضاء هذه الجمعية الجليلة إذ كلهم ممن يحرص على خدمة  
اللغة العربية ببذل النفس والنفس ولا أقدم لك كلاماً تعلمته أن  
التعريب في اللغة العربية من أجل فوائدها فأقول  
لا يخفى أن الأهم كما يتبادلون المنافع المالية بواسطة التجارة فهم  
يتبادلون الفوائد العلمية بواسطة اللغات فمن جهة كون اللغات من  
خواص صفات الأهم الحافظة لبقائها كما هو عليك في المقدمة لا تقل  
أهميتها عن القوة الحامية ومن جهة كونها هي الوساطة لتبادل  
الفوائد العلمية ليست أقل أهمية من السفن وسائر معدات النقل  
التي تأتينا بالارزاق وعروض التجارة من البلاد القاصية والاقطار  
المختلفة وثمان ما بين الحفظين وبنو يديين تبادل المنفعتين فان  
اللغات لا ينقل حديدتها ولا يقل عديدها والارزاق وعروض التجارة  
تسد الحاجات الوقتية والفوائد العلمية تبقى ببقاء المصالح الدائمة  
فكم من كتاب جليل نقل الى اللغة العربية من لغته الاصلية في  
عابر الازمان وبقي على عمر اليمالي والايام محط أنظار العلماء وأعمل

السياسة والصناعات والحكومات يستمدون منها دواء الأرواح وغذاء العقول فهذه فنون الحكمة والرياضة والطب وغيرها المنقولة من لغاتها الأجنبية كمجنت منها الأمة العربية من الفوائد وعاد على حضارتها ومدنيتها من العوائد فانظر الى تاريخ خلافة المأمون الزاهرة بالعلوم ومن قبله ومن بعده من الخلفاء الراشدين فما كان يخاور من فيها من العلماء النابغين في اللغات الأجنبية الذين كان همهم قاصرا على التعريب

وعلى هذا المبدأ الشريف عمل الأمم في العصور الأخيرة إذ أصبحوا يتوسعون في تعليم اللغات كتوسعهم في أعمال التجارة والزراعة إذ علموا أن متجر اللغات مقدم على متجر الصناعات بل أصبحوا يتناهبون لغات المتبررين توصلا لاقتناص ماعساه يكون فيها من الفوائد العملية أو التاريخية وقد جاء الدور المهم للغة العربية فباتوا يحكفون على درسها شغفا باستكناه أحوال الأمم العربية وكشف النقاب عن علومها وآدابها وأيامها وعوائدها وأخلاقها فترى الواحد منهم إذا ألم بهذه اللغة بعض الامام كأنما فاز بالسعادة الأبدية فإذا عثر على كتاب فيها معنون بما يشئ عن موضوع مستغرب فكأنما نشط من عمال وظفر بالضالة المنشودة ولكنه إذا كان قاصرا في اللغة يقرع سنّ النديم على أن لم يكن له نصيب منها الا بقدر ما

يفهم الخطاب أوريد الجواب بلغة العسامة ومع هذا فلا يثنيه اليأس  
عن درك أمنيته بترجمة ما في الكتاب الى لغته بعد عناء شديد ونصب  
ما عليه من مزيد وكل ما يهته من فوائد الخصوصية في هذا  
السبيل قليل بالنسبة لما يقصده من خدمة لغته العمومية

فالقصد الاصلى من تنافس الأعم في تعليم اللغات انما هو تبادل النفع  
العام والاشترالى في العلوم والمعارف حتى صارت الترجمة من أهم  
ما يلتفت اليه تعليما في سائر المدارس العالية ورحم الله ساكن  
الجنان المغفور له أفندينا (محمد علي باشا) الكبير سيّد العائلة الشريفة  
الندوية اذ نظر الى هذا المبدأ الشريف نظر الاهتمام وبعث  
المبهورين الى البلاد الاجنبية حتى برعوا في اللغات ثم أناطهم  
بتهريب كل ما تمس اليه الحاجة من الكتب في سائر الفنون  
النافعة حتى كان لهؤلاء المهترين في زمنه وبعده شهرة عظيمة بما  
قدمت أيديهم من الآثار الجليلية فهذه آلاف من الكتب النفيسة  
التي عرّبوها لم تزل متداولة بيننا الى الآن اتسع بها نطاق المعارف  
وزادت اللغة غنى وغناء

نعم ان من تخترجوا من المدارس الأميرية وغيرها من أبناء البلاد  
في هذا العصر الحاضر جتم غفير غالهم على علم تام باللغات الاجنبية  
ولكن القليل منهم هم الذين وفقوا الى خدمة اللغة العربية بما

آثارهم الله من هزية الفضل والأدب فعزّبوها كثيرا من المؤلفات  
الجديدة والمكتشفات الحديثة في فنون مختلفة من لغات شتى  
فجزاهم الله عن الوطن وأهليه والعلم وهنأوليه أفضل الجزاء ولا  
زالت الأيام ترينا من آثارهم الجليلة ما يحلى تاريخهم بطراز الثناء  
والجد فان مثل هؤلاء الأفاضل قد وقفوا على حكمة تعلم اللغات  
الأجنبية بخوات أعمالهم على وفق الحكمة والسداد وخدموا الحكومة  
السنية بما أنفقت عليهم من أموالها وقدمت اليهم من الخدمة في  
سبيل تعليمهم وتدريبهم

أما الكثير من غير هؤلاء الذين قد آتاهم الله وقتا واسعا وشبابا  
ناضرا وفرانغا من الأعمال فانهم اكنفوا بما نالوه من فضيلة التكلم  
بهذه اللغات التي تعلموها اذ كان التكلم بها يعد من الفضيلة على  
زعمهم وكان أول لهم ثم أولى أن يجاروا اخوانهم في الاعمال  
الناضلة فيكون لهم من آثارهم نصيب يذكرون به فيشكرون فان  
كانوا ممن لا يحسنون التعريب لتصورهم في اللغة العربية ويتخذون  
ذلك ذريعة للتخفاف عنه قلنا لهم ان من يعرفون هذه اللغة كثير  
والتعاون على النفع العام محبب اليه في كل مله وهدر زمن  
الشباب غواية وضلال ولا عار ولا شئ اذا قيل ان فلانا الافندى  
اشترك مع فلان الشيخ مثلا في تعريب كتاب أو رسالة أو رواية أدبية

أوحكاية تاريخية أو مقالة سياسية أو غير ذلك مما تشوقه على الدوام  
أنظار القراء وترمق من يأتي بشئ منه بعين الاعتبار والاجلال  
على أنك إذا علمت أن التعريب هو الفائدة المقصودة بالذات من  
تعلم تلك اللغات سواء في ذلك تعريب الكتب والرسائل والروايات  
أو التقارير والمحادثات ونحو ذلك مما تمس اليه حاجة المصالح العمومية  
أو الخصوصية فيتمذ لا تكمل هذه الفائدة لا يتعلم اللغة العربية  
ليقتدر المعرب على افراغ المعاني في عبارات صحيحة خالية من لحن  
الاعراب وافية بأداء المراد صراحة لا خفاء فيها ولا التباس مع  
المحافظة على الاصل المعرب هذا أقول ما يمكن أن يكتبني به  
المعرب في مهنته فان حصل من اللغة العربية على ما دون الكفاية  
بان كان لا يعرف منها الا بقدر ما يعرف الاجنبي من لغة العوام  
فلا يصح أن يطلق عليه اسم معرب وتعين عليه أن يبادر الى  
تحصيل ما يتوهم بمحاجته منها والا فليندب زمنا أضاعه في تعلم لغة  
أجنبية لم يمكن من ذوبها ولم يقطن بين أهلها وليس المراد  
أن المعرب لا يصح أن يطلق عليه هذا الاسم الا اذا بلغ الدرجة  
العليا في صناعة الانشاء حتى صار من نظراء ابن المتفح ومن كان  
يجاريه في فنه فان لهذا زمنا مضى لم يبق منه الا تعليل النفس  
بذكراه وتمنيها رجوع صدها

نعم ان هذا العصر سيكون انشاء الله تعالى فاتحة اقبال لاتساع نطاق التعريب اذ نبع فيه بين العارفين بهذه اللغات عدد ليس بالقليل في صناعة الانشاء العربي وهم الذين راعوا حق المساواة في تعلم اللغات لابل احازوا لغتهم من العناية والالتفات محل الاصلى من الفرعى والوطنى من الاجنبى وكان السابق منهم قدوة للاحق والمجتهد المجد مثالا يحذو حذوه الغافل المتكاسل وقد عرت على أيديهم جملة من الكتب النافعة كما وقفت عليه فيما سبق وعلى تفاوتها في النفع فكلها تستحق الذكر ومن أتبع ما عرّب منها في فن التقنين الذى أصبحت الناس فى أشد الحاجة اليه على كونه فى بلادنا غريب النشأة عزيز المنال الامن أوتى فضلا من العلم واللغات كتاب (أصول الشرائع) وهو كتاب ضخم فى مجلدين عربى من الفرنسية نابغة المعربين ومثال الفضل والحكمة حضرة الاصولى البارع أحمد فتحى أفندى رئيس النيابة العمومية بمحكمة الاسكندرية الاهلية وبعد أن لبس هذا الكتاب الغريب مارق وحلا من حلل التعريب رأيناه قد جمع الى المطالب العالية والمدارك السامية رصافة التعبير ولطافة التعبير ومحكم السرد وجمال الوضع على ضخامة حجمه ونخامة موضوعه أكثر الله من أمثال هذا الفاضل لنفع العباد وخير البلاد انه ولى السداد

ثم انه لا تكال فائدة التعريب أيضا ابوضع أسماء عربية لما تجدد  
أو يتجدد من الآلات والعدد وسائر ما يصطلح عليه علماء الصنائع  
والفنون في كل زمن ومن أي جنس بحيث لا يفوت اللغة شيء من  
دقائق تلك الصناعات وما يتعلق بالعلوم من كافة الاصطلاحات  
الا وهي كاشفة بأسمائها عن حقائقها وأشخاصها وأوضاعها وسائر  
متعلقاتها اذ كثيرا ما عربت كتب من لغات أخرى وبقيت مشحونة  
بالفاظ أجنبية تعترض المطالع في عرض الكلام وهي أسماء أشياء  
اصطلاحية بقيت على أصلها لعدم ما يدل عليها في اللغة العربية  
يتوقف الفهم على العلم بمعانيها فيضطر الى ترك الكتاب ونيله ظهريا  
في زوايا النسيان ويأسف على أمل فيه أضاعه ومال أنفقه  
وان كان من علماء الفن الذي هو موضوع هذا الكتاب  
فإن هذه الترجمة المختاطة عقيمة الفائدة الا لمن يعرفون اللغة المترجم  
منها وهم أنفسهم في غنية عنها  
فعندي أنه اذا لم يجد المترجم من الالفاظ المفردة ما يتأدى به المراد  
من هذه الاسماء الاصطلاحية فالاولى أن يجعل للكتاب طائفة  
يتعرض فيها لشرح هذه الكلمات بكلام مركب مفيد أو يذيل  
الكتاب بقاموس لتفسير هذه الكلمات وبذلك يكون للترجمة فائدة  
في الجملة

قال بعض الاجانب ان اللغة العربية لغة قاصرة لاتصلح لان تكون  
لغة العلوم العالية والتمنون السامية كالعلوم الفلسفية والفنون  
الحكيمة والصناعية فان أراد بقوله هذا أن كثيرا من أمثال هذه  
العلوم الحديثة لم ينقل اليها الى الآن فتحن نسلم له ذلك ولكن  
لا يلزم منه رمي اللغة نفسها بعدم صلاحيتها لذلك وان أراد كما قيل  
أن أساليب الكلامية غير كافية لكشف المعاني الفلسفية الدقيقة  
ونحوها وأن هناك من المعاني ما لا يوجد له ألفاظ فيها قلنا هذه  
كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد والطوسي وغيرهم من فلاسفة  
الامة العربية وحكمتها ورياضياتها وما عرّب من الكتب الطبيعية  
والرياضية وغيرها في العصر الحاضر مما يكذب ما ادعاه من قصور  
الاساليب الكلامية

وأما المعاني الجزئية والاصطلاحات الحديثة التي لا يوجد ما يدل  
عليها من اللغة فاللغة فيها من الاوضاع ما يكفل ذلك وما دام  
الاصطلاح لا يحتاج الى توقيف من الله بتسمية خاصة ولاتعليم من  
رسول أو نبي فككل لغة صالحة لأن يستنبط منها ما لا يحصى من  
الاصطلاحات لاي فن كان وفضل اللغة العربية لا ينكر من جهة  
اتساعها وما امتازت به من كثرة المترادفات فهذا مما يسهل علينا  
وضع الالفاظ الكافية منها لهذه المدلولات بحيث يراعى فيها شدة

المناسبة بين معانيها الاصلية وهذه المعاني المنقولة اليها ان لم نجد من اللفاظ ما يدل عليها بالمطابقة وعلى ظني أن ذلك نادر جدا فان من يتتبع اللغة العربية يجدها كافلة بالمعاني التي لا تخاطر على بال ولا يعربها وهم واذا جاز في المجاز استعمال اللفاظ الغير ما وضعت له لأدنى علاقة اذا اقتضى الحال الكلامي فأولى من ذلك ما تدعو اليه الضرورة وشدة الحاجة وكلم العلماء الفنون العربية وغيرهم اصطلاحات لا تخصي قد شخنت بها كتبهم ومؤلفاتهم وهي عبارة عن ألفاظ استعملت في غير معانيها وصارت حقائق عرفية فيها وما رأينا أن أحدا منهم حجر الاصطلاحات وضيق دائرتها بشرائط لا يهتدى لها الا فلسفي أو متفلسف وكيف لا وان من قواعدهم المساة قولهم (للمشاحة في الاصطلاح)

وقلنا ان كثرة المترادفات في اللغة العربية مما يسهل علينا وضع ما نروم وضعه من الاصطلاحات لان المترادفات الواردة لمعنى واحد مهه ما كثر فقصد روعي غالبا في كل منها باصل الوضع وصف في المدلول لم يراع في غيره فان قيل ان اختلاف اللفاظ المترادفات في لغة العرب لم يكن الا لاختلاف لغات قبائل العرب للاختلاف أوصاف المدلولات كما روى أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقعت السكين من يده الشريفه

فقال له ناواني المسكين فالتفت أبوهريرة عيضة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفهم كذلك ثم قال ألمدية تريد وأشار إليها فقبل له نعم فقال أو تسمى عندكم سكيننا ثم قال والله لم أكن سمعتها الا يومئذ اه (قلنا) ان هذا لاينافي أن كل قبيلة من قبائل العرب كانت تلتظ في تسمية الشيء معنى وصف لم يكن ملحوظا من سواها وبذلك اختلفت الاسماء كما ستقف عليه في الكلام على وجه تسمية كل من المدية والسكين في فصل الكتابة

ومن هذا كله تعلم أن ايجاد أو ضاع لما تجد من المهميات والاصطلاحات في سائر الفنون لم يكن بالمتعذر بل ولا المتعسر لما علمت أن باب الاصطلاح واسع وليس هذا ضربا من ضروب الاجتهاد الذي سدت أبوابه وتنكرت معالمه بل ليس في ذلك كبير عناء فان العدد والآلات الخاصة بكل عمل والمواد والاصطلاحات المتعلقة بكل فن معلومة محصورة وما علينا الا أن نضع لكل نوع منها اسما عربيا عيظه عن غيره ولا تؤخر العمل الى أن نجد في اللغة من الاسماء ما ينطبق على المسمى نصا أو يكون أشد مناسبة بل يكفي في كل اسم مجرد المناسبة وان من بعض الوجوه حتى اذا وددته الالسننة وكررت الذاكرة صار نصا في تعيين المعنى يتوارثه الخلف عن السلف كما تورث اللغات جيلا بعد جيل

ولا يحتاج الأمر فيه الى عقد لجان تستلزم نفقات واسعة بل يكفي لذلك أن يكاف اثنان أو ثلاثة من المبرزين في كل فنّ ومعهم واحد أو اثنان ممن لهم وقوف تام على اللغة العربية ويكونون جميعاً من موظفي الحكومة الذين يستوفون الرواتب الكافية أو غيرهم ويكافون بهذه الاعمال على مكافآت تعطى لهم بعد تمام العمل ثم يكون لهم حق التزام في طبع ما يجمعونه من القواميس في هذا الشأن ثم تجعل هذه القواميس مدار التعليم في المدارس فاذا استوفت اللغة حفظها من مثل هذه الاسباب غسل عنها العار ولم يبق وجه لمن يرميها بما هي بريئة منه وظهر فضائها وعمّ نفعها وصارت في مقدمة اللغات صيتاً واشتهاراً

ومن أسباب ترقى اللغة كثرة الاثنية والمجتمعات المعدة لتلاوة المقالات العلمية والخطب الادبية التي يقصد بها اتساع دائرة الافادة والاستفادة والحض على تهذيب الاخلاق والحث على فضائل الاعمال ولكن يشترط في هذه الخطب والمقالات أن يراعى فيها الاسلوب العربي لا أن تكون على اسلوب بليغ وأن تخلو من الانساخ العامية ولا شك أنه كلما كان موضوع المقال أهم كان تأثيره في النفوس أعظم فينساق السامعون الى حفظه كله أو بعضه وتكريره كلما عن لهم ما يذكروهم به فتعتاد ألسنتهم النطق بالعربية

الفصيحة وهذا فضلا عن الفوائد المعنوية التي يكون لها في نفوسهم  
التأثير الحسن

وأفضل الخطابات ندما لنوال هذا الغرض ما هو من نوع الروايات  
السياترية سيما اذا كانت تحكي عن وقائع الحروب الهائلة أو  
الاحاديث العشقية أو نحو ذلك مما ينبه الافكار ويستلفت الانظار  
فكما أن هذه الروايات يتأدى بها أكبر خدمة للآداب العمومية  
فكذلك هي من أنفع الاسباب لترقي اللغة لانها في غالب الاحوال  
تكون مؤلفة من عبارات جميلة الاساليب ويراعى في القائمها  
أحسن الطرق لتأثيرها في المسامع بحيث يكون لقوة الخفظ منها  
أزق نصيب

ومن أسباب ترقى اللغة كما أثرنا اليه سابقا أن يفتتح العلماء  
والادباء في طريق التخاطب العام السبل المرعية عند النحاة ولا  
يجارون العوام على ما هو مألوف عندهم ويتحتم على أساتذة  
المدارس معلمى الفنون العربية والازهرين خصوصا أن يعودوا  
تلامذتهم على هذا التخاطب أمامهم وفيما بينهم لتثبيت ما تعلموه  
وتقريره في أذهانهم وليكون ذلك من أهم الوسائل لتعليمهم طرق  
الانشاء بكيفية تصيره ملكة راسخة فيهم من غير تكلف كما يفعل  
بعض معلمى اللغات الاجنبية فكثير منهم يمنع تلامذته من التكلم

الاجماعهم بصدد تعلمه من تلك اللغات حرصا منهم على هذه الفائدة العظيمة ولو لم يكن في ذلك سوى وقوف الاستاذ على حال التلميذ ومبلغ قوته في الحفظ والفهم والاجتهاد لكفى وا يكون لا اقل على علم بما يستحقه مثلا عند الامتحان الذي هو هنالك الافهام بما يستولى على بعض النفوس من الاوهام

ولقد اُبت اللغة العربية الا ان تكون كمنصة في بطون الكتب والدفاتر لا يظهر منها أثر على الالسنه حتى صار تعلمها كتحميم الفائدة الا لطايب العلوم الدينية وكاد يصدق عليها انها لم تكن الا لغة دينية مقدسة لتكون فائدها قاصرة على ذلك غالبا وصار الخطاب بها على الوجه المرعى بعدد نوعا من المشدقة الخارجة عن قانون الحشمة والادب وان من الذين افنوا اعمارهم في درسها تعلموا وتعلموا وان باغوا فيها مبلغ سيبويه والتحليل حتى اصبح لسان حالها ينشد متى وعسى يثنى الزمان عنانه \* بعشرة حال والزمان عشور

ومن قبيل الاسباب النافعة لترقى اللغة نشر الكتب الفكاهية التي يقبل عليها الناس والجراند المحررة بأسلوب عربي وان لم يكن بليغا والاعاني وشروها اذا كانت تنشد على وجوهها خالية من اللحن والتحريف والباعة في الاسواق لولقنوا في مناداتهم صحيح العبارات والتزموا خطة الادب وتجنبوا فحش القول وعلمهم ذور

الآداب ما يليق بكل نوع من المأكولات وغيرها من الجمل  
المستعملية التي ترشد الناس لما فيه صلاح حالهم لكان ذلك من  
أدفع الوسائل لسترقي اللغة ولقام لنا منهم خطيب واعظ هرشدد  
لايميل النصيحة آناء الليل وأطراف النهار

### (الفصل الثاني في الكتابة)

اعلم أنه لا تتم الفائدة المقصودة من اللغة الا بالكتابة فهي والكلام  
قسما اللغة كما قيل القلم أحد اللسانين فالحاجة اليها ضرورة عامة  
خصوصا في هذا الزمان اذ صارت لكل انسان بمنزلة عينه ويده  
فهو بدونها يعمى أشل ولاهية الاجتماعية الدائرة الحافظة  
لحركة الحياة

وهي اما صحيحة قد روعيت فيها الاصول المتبعة من جهتي الوضع  
والرسم فهي كاللغة الصحيحة أو غير صحيحة فهي كاللغة العامية  
تحرف اللفظ فيتغير المعنى ويخرج القارئ الى ما يغير المراد بسبب  
ما يقع فيها من الخلط واللبس في أوضاع الكلمات والحروف وحينئذ  
يكون اطلاق اسم الخط العربي عليها كاطلاق اللغة العربية على  
لغة العامة وكما أن هذه لاتصلح لتدوين الكتب العلمية فكذلك  
هذه الخطوط التي خرجت في الوضع والرسم عن أصول الخط العربي

لا ينبغي أن يكتب بها ما تمس إليه الحاجة السياسية أو الدينية  
وكافة ما تدور عليه حركة المعاملات ونظام الاعمال  
وهذه الخطوط على نقصها ونخلل نظامها على أشكال وضروب شتى  
وتسميها العامة (الخط الديواني) وان لم يستعمل الآن في دواوين  
الحكومة العالية الا قليلا  
نعم يوجد كثير في المصالح الصغيرة وغيرها كمبيعات التجارة ودوائر  
الزراعة يستعملون هذه الانواع ويتغالون فيها خفاء وابهاما حتى  
انهم يعدون ذلك من المهارة في الكتابة ولا يراها عامة الناس الا  
من قبيل المعميات والرموز  
ولم يكن خفاؤها ولبسها على العامة خاصة بل وعلى أهل العلم  
الذين تلقوا اللغة العربية قراءة وكتابة وبذلك قد انقسمت الكتابة  
العربية الى قسمين أيضا كتابة العامة وكتابة الخاصة  
وانا في صدد الكلام على ما يجب اتخاذه من الوسائل النافعة  
لتوحيد اللغة وقد قلنا ان الكتابة من مميزات فوائدها فليكن  
توحيد هذه ممتما لتوحيد تلك ولما كان البيان هو المقصود بالذات  
من الكلام والكتابة معا فهما شريكان في أمر واحد فيجب أن  
نقوم من أودهما ونصلح من فسادهما ليظهر سر الحكمة في وضعهما  
ولنذكر لك شيئا في فضل الخط وما يجب أن يراعى فيه من حسن  
الوضع استيفاء للفائدة من جميع الوجوه فنقول

قال أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المصري في كتابه ضوء  
 الصبح المفسر أما فضل الخط فأعظم شاهد لهلوق قدره وأقوى دليل  
 على رفعة شأنه أن الله تعالى نسب تعليمه إلى نفسه واعتدته من  
 وافر كرمه وأفضاله فقال عز اسمه اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم  
 علم الإنسان ما لم يعلم مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها منتسخ  
 الوحي وأول التنزيل على أشرف بني آدم وأكرم مرسل صلى  
 الله عليه وسلم وفي ذلك من الاهتمام بشأنه ورفعة محله ما لا  
 خفاء فيه ثم زاد شرفه تأكيداً ووفر محله اجلالاً وتعظيماً بأن  
 أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدرت  
 عظمتة (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك مجنون) والأقسام  
 لا تقع منه سبحانه إلا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والقمر  
 والنجوم ونحوها ثم نتيجة تفضيله وأثرة تعظيمه أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم ندب إلى مقصده الأسمى وحث على مطالبه الاغنى فقال  
 قيدوا العلم بالكتاب مشيراً إلى الغرض المطلوب منه وغايته المجتمعة  
 من ثمرته وهو تتميد العلم من حيث ان العرف قصير والوقائع كثيرة  
 وماذا عسى يحفظه الإنسان بقلبه ويحصله في ذهنه قال ذوالرمة  
 لعيسى بن عمرا كتب شعري فالكتاب أحب إلى من الحفظ ان الاعرابي  
 لينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلة فيضيع موضعها كلمة في

وزنها لا تساويها والكتب لا ينسى ولا يبذل كلاما بكلام انتهى  
وقال في موضع آخر من هذا الكتاب قال في مواد البيان وبين  
اللفظ والخط مناسبة ظاهرة وكما أن اللفظ فيه الجزل الفصيح الذي  
يستعمله مصافح الخطباء ومفالق الشعراء والمبتذل السخيف الذي  
يستعمله العوام في المكاتبة والخطابة فكذلك الخط المحرر الذي  
يكتب به الكتب السلطانية والامور المهمة وفيه المطلق المرسل الذي  
يكتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم وكما أن اللفظ يقع فيه لحن  
الاعراب الذي نهجنه كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء وكما أن اللفظ  
إذا كان مقبولا حادوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس وان  
كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع وبعده من القلوب كذلك  
الخط إذا كان جيدا حسنا بعث الانسان الى قراءة ما أودع فيه وان  
كان قليل الفائدة وان كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل ما تضمنه  
ولو كان جميل الفائدة ولما اشتد ترك اللفظ والخط في الفوائد العامة  
التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آلهما إذ آلة اللفظ اللسان  
وآلة الخط القلم وكل منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعاني  
الا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جعلت آله آلة طبيعية والخط  
لما كان دليلا صناعيا جعلت آله آلة صناعية ولما تقاضت الآلتان  
الدلالة نابت احداهما مناب الاخرى فأوقعوا اسم اللسان على القلم

فقالوا الاقلام السنة الافهام وشرّكوا بينهما في الاسم فقالوا القلم  
أحد اللسانين انتهى

فتمين لت من هاتين العبارتين أن اللغة لا تفكّل فوائدها الا بالكتابة  
وأن الكتابة لا يتم المقصود منها الا اذا استوفت حفظها من الكمال  
المعتبر عند الكتاب ولتنقل لك طرفة مما يتعلق بالآلات الكتابة  
لتكون على علم بما يجب العناية به منها حيث انها الاصول الاولى  
لما عداها مما له تعلق بفن الكتابة فنقول

أصل هذه الآلات (الدواة) قيل وتجمع جمع كثرة على دوى بضم  
الداو وكسرهما ودوايا مثل حوايا ورجل دواء بفتح الداو وتشديد  
الواو اذا كان يبيعها ويقال لمن يحملها داو على وزن واد والدوى  
آلات تصنع من معادن وغيرها على أشكال شتى فندع اختيار  
ما يحسن من ذلك الى ما تميل اليه رغبات الكتاب انما ينبغي أن  
تكون خالية من النقوش حتى لا يتسارع اليها القذى والذئس  
ولا بأس بالجليّة ان لم يترتب عليها ذلك وينبغي تجويدها وصونها  
قال المدائني

جود دواتك واجتهد في صونها \* ان الدوى خزائن الكتاب

ومنها (المحبرة) بكسر الميم وفتح الباء وهي الجونة التي يستعد منها  
للكتابة والاليق أن تكون مستديرة حتى لا يجتمع في زواياها ان

كانت ذات زوايا كدر الخبر وتشتمل على (الليقمة) مأخوذة من قولهم  
فلان ما يليق كفه درهمما أي لا يجيبه ولا يسكده لاسما كها الخبر  
ومنعها اياه من السيلان ويقال منه ألقى الدواء ولقمتها اذا جعلت  
فيها الليقمة وتكون من الحسري الحسن لتنتفش في المحبرة فلا  
تلبد وتكون أعون على الكتابة وعلى الكاتب ان يتفقد الليقمة  
ويطيبها وقد كان بعض الكتاب يطيب دواته باجود طيب نفسه  
حتى لا تتغير رائحتها على طول اذ يكتب بها من الاسماء ما يجب  
احترامه وربما سبق القلم بغير المراد فيضطر الكاتب للحس ما كتب  
ويتعين تجديدها في كل شهر ويجب أن تطبق المحبرة بعد الفراغ  
من الكتابة تحريزا مما يسقط فيها مما يشد الخبر

ومنها (المداد) سمي بذلك لانه يمد القلم أي يعينه وسمي حبرا بكسر  
الحاء لخلاص سواده يقال فلان ناصع الخبر أي اللون الخلاص من  
كل شيء قالوا ولا بد للخبر من الملح لينعته من التعفن والكافور ليحسن  
رائحته وينعسه من تشوذه في السكاغد على طول الزمن وأما أعمال  
صناعته فلها محال تطاب منها لاتسعها هذه المقدمة

ومنها (القلم) ويسمى المزبر بكسر الميم واسكان الزاي المعجمة وفتح الباء  
الموحدة أخذنا من قولهم زبرت الكتاب اذا أتتنت كتابته ومنه  
سميت البكتب زبرا قال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) ويقال فيه

أيضا المرقم والمرقش وتسمى قلما لقلم رأسه وبريها قيل لأعرابي ما  
القلم ففكر ساعة ثم قال لأدري فقيل له توهمه فقال هو عود قلم  
من جوانبه كتقليم الظفر فسمى قلما قال عبد الحميد الكاتب القلم  
شجرة ثمرتها الالفاظ ومن كلام ابن المعتز لم تخط دولة بالقلم الاخرت  
على الدول واستغنت عن الخيل والخيول ولله قول القائل  
فلكم ينزل البليش وهو عرمم \* والبيض ماسات من الأعماد  
وهبت له الأجام حين نشابها \* كرم السيول وصوله الآساد  
(قال) ابراهيم بن محمد الشيباني ينبغي للكاتب أن يتخير من أنابيب  
القصب أقلها عقدا وأكثرها لحما وأجها نشرا وأعد لها استواء  
(وقال) الوزير أبو علي بن مقلة أحسن قود القلم أن لا يتجاوز به  
الشبر وأجوده ما كان ثقيلا الجرم  
قالوا يقال برت القلم أبريه بريا وبراية والقلم مبري وأنا بار للقلم  
بغير همز في الجميع قال الشاعر  
يا باري القوس برياليس يحكمه \* لا تفسد القوس أعط القوس باريها  
وربما قيل بروت والياء أفصح ويقال لما سقط في حلة البري براية  
بضم الموحدة ويقال في الأمر ابر قلمك (ويحكى) أن الضحالك كان  
إذا أراد أن يبري قلما يوازي بحيث لا يراه أحد ويقال انلط كله  
القلم قال ابن مقلة ويجب أن تكون فتحة القلم أكثر تقعيرا إذا

كان صلباً وأقل ان كان رخوا وفي المعتدل بينهما وهذه الفتحة  
 يهبون عنها بالجلفة وهي ما بين مبراة القلم الى سنه وينبغي أن  
 تكون بمقدار عقدة الابهام قال ابن البسراب وكل قلم تقصر  
 جلفته فان الخط يجي به أوقص والوقص قصر العنق ورأى  
 عبد الحميد بن قتيبة يكتب بقلم قصير البراية أي الجلفة فقال أتريد  
 أن تجود خطك فقال نعم قال أطل جلفة قلمك وأسمها وحرف  
 القطة وأسمها ففعل جاد خطه وقال ابن مقبله يجب أن يكون  
 نحت جانبي القلم متساويا من جهتي السن سما ولا يحمل على  
 إحدى الجهتين فيضعف سنه قال ويختلف شق القلم باختلافه  
 فالصلب ينبغي أن يكون شقه الى آخر الفتحة والرخو الى نصفها  
 والمعتدل الى ثلثها وليكن غلط السنين سواء ويجوز أن يكون  
 الايمن أغلظ من الايسر دون العكس في كل حال (والقط) في اللغة  
 القطع وهو المقصود الاعظم من البراية وعليه مدار الكتابة قال  
 ابن عجلان من وعى كثرة أجناس القط كان مقتدرا على الخط ثم  
 هو على نوعين في الجملة محرف ومستو فالخرف هو أن يكون السن  
 الايمن أطول من السن الايسر في الكتابة العربية قال ابن العفيف  
 وطريق بريه أن يحرف السكين في حال القط قال وهو اما قائم أو  
 مصوب فالقائم جعل منه ارتفاع الشحم مثل ارتفاع القشرة والمصوب

ما كانت القشرة فيه أعلى من الشحم ثم قال وقد كان من لا يعتد  
به يقط القلم على ضد ذلك فيجعل الشحم هو المشرف على ظاهره  
فكان مخطئه لا يجيء الأريثا والمستوى ما تساوى سنامه قال ابن  
مقلة وأجودهما المحرف قال ابن العفيف وأجود المحرف المتبدل  
التحريف قال وأفسد القلمات المستوية لان المستوى أقل تصرفا  
من المحرف قال ابن مقلة وإذا عزمت على القبط فأضجع السكين قليلا  
ولا تنصبها نصبا يريد أن تكون القطعة مائلة الى التحريف

ومنها (المسدية) قال الجاحظ وتقال بضم الميم وفتحها وتجمع على  
مدى وسميت مدية لانها تقطع مدى الاصل بالذبح وتسمى السكين  
أيضا بكسر السين لانها تسكن حركة الحيوان بالذبح وهي تذكر  
وتؤنث هذا سكين وهذه سكين وربما قيل سكينته وهو قليل قال  
ابن مقلة واستخدم السكين حذرا ولتكن ماضية جدا فانها اذا كانت  
كالة جاء الخط رديثا مضطربا وما أحسن قول القائل على لسانها

أنا في السلم خادم لدواة \* وبجدي تقوم الأقاليم

وينبغي أن لا تستعمل في غير البراية

ومنها (المقط) بكسر الميم وقيل مقطعة بالتأنيث وينبغي أن يكون  
أملس صلبا غير حشن لئلا يتشظى القلم وأن يتخذ من الآبنوس  
والعاج ونحوهما ويكون مسطح الوجه لاستديرا

ومنها (المسن) بكسر الميم وفتح السين وهي آلة تتخذ لاجتماع السكين  
من حجارة صلبة والجمازي أفضلها وهو الاخضر

ومنها (المسححة) بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وهي تتخذ من  
خرق متراكبة ونحوها يمسح القلم بها طمها عند الفراغ من الكتابة  
حتى لا يجف الحبر عليه فينسد

ومنها (المواق) بكسر الميم وهي آلة مستديرة عريضة الرأس تلاق  
بها الدواة أي تحرك بها اللقطة والاحسن أن تكون من آبنوس  
حتى لا يغير لونها المداد

ومنها (المقلبة) بكسر الميم وهي الجوزة التي يكون فيها الاقلام ونحوها  
من آلات الدواة وربما كانت من جلد منقوش وينبغي أن لا تنقص  
ومنها (المفرش) بكسر الميم ويقال المفرشة بالتأنيث وهو ما يفرش  
في باطن الدواة تحت الاقلام وما معها من حرير أو صوف أو  
غيرهما على حسب تشكيل الدواة

ومنها (المرملة) بكسر الميم الاولى وفتح الثانية وهي معارضة وما  
أحسن ما قيل فيها

ظريفة الشكل والقنال قد صنعت \* تحكي العروس ولاكن ليس تغتم  
كانها من ذوى الالباب خاشعة \* تبكي الدماء على ماسطر القلم  
هذا اذا كان فيها رمل أجر

ومنها (المنشأة) وهي الظرف الذي يجعل فيه النشا الذي يوصل به  
الورق ونحوه

ومنها (المقصد) بكسر الميم وهو معروف ويسمى الجلم بفتح الجيم واللام  
هذا وقد أوصل بعضهم آلات الكتابة الى العشرين ولكن ما ذكرناه  
هو ما تمس اليه الحاجة بحيث لا يستغنى عنه كل كاتب فيما يريد أن  
يزاوله من أصول الأقلام أو فروعها وحيث ان قواعد الكتابة وما  
يتبع حسن وضع الخط من الأشكال والكمينيات قد دوت أحكامها  
وحجاري أحوالها في كتب على حديثها فعلى الكاتب النبيل أن  
يقف على ما يحتاجه منها حسبما تطالبه به صناعته وتقضى عليه  
حرفته وأن يحصل ما تميل اليه رغبته فان أصول الأقلام متباينة  
الأشكال وفروعها متخالفة الأوضاع

وهذه الصناعة من أجلّ الصناعات وأعلاها منزلة فعلى من يتسم  
بها بين الناس أن يصرف كل الجهد في مراعاة أصولها وقواعدها  
سواء في ذلك ما يرجع الى حسن الوضع وما يتعلق بفن الرسم فان  
ذلك عليه أوجب من مراعاة التجميل في ملبسه والتأنيق في مطعمه  
قال القلقشندي في ضوء الصبح (اعلم) ان تحسين الخط مطاوب  
للكاتب لا يجوز له اغفاله اذ هو من أحسن صفاته التي ترفع قدره  
عند الناس وتكون وسيلة الى نجح مقاصده وبلوغ ما يريه وقال

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخط الحسن يزيد الحق وضوحا  
وإذا كان الخط حسن الوصف مليح الرصف منفتح العيون أملس  
المتون كثير الأتلاف قليل الاختلاف هشت اليه النفوس  
واشتهت الأرواح حتى إن الإنسان ليقروء وإن كان فيه كلام دنيء  
وإذا كان قبيحا هجته الأفهام ورفضته العيون والافكار وإن كان فيه  
من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها ولما كان الخط قسيما للفظ  
في امتنان الله تعالى بتعليمه على الإنسان وجب على الكاتب أن  
يعتني بأمر الخط ويراعي من نجو يده وتصحيحه ما يراعيه من  
ترتيب اللفظ وتنقيحه فنزل الخط الجيد منه كما أن فضائل النطق  
إنما هي للبليغ اللسان

طرفة في تاريخ الكتابة وذكر أول من وضع الخط العربي  
ومن نقله من الكوفي إلى ما هو عليه في زماننا هذا

قال في ضوء الصحيح المسفر قيل أول من وضعه ادريس عليه  
السلام وقيل نزل على هود عليه السلام ونقل عن ابن عباس  
رضي الله عنهما إن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال  
من يولان ويولان قبيلة من طي كانوا نزولا بمدينة الأنبار وهم  
مزار بن مرة وأسلم بن سعدة وعامر بن حذرة اجتمعوا فوضعوا  
حروفا منضوطة وموصولة ثم قاسوها على هجاء السريانية ففرار وضع

الصور وأسلم فصل ووصل وعامر وضع الاجسام ثم نقل ذلك الى  
 مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه  
 وقيل أول من وضعه ستة أشخاص من طسم من العرب المائدة  
 كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وكانت أسماءهم (أبجد وهوز  
 وحطى وكن وسعصع وقرشت) فوضعوا الخط على أسماءهم  
 فلما وجدوا في الخط حروفا ليست على أسماءهم ألحقوها بها وسهوها  
 الروادف (تخذ ضنخ) وقيل واضعه بنو اسمعيل وروى من طريق  
 ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من كتب  
 بالعربية اسمعيل (ثم قيل) أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من  
 قبل أبي سفيان بن أمية عم أبي سفيان بن حرب وهو تعلمها من  
 رجل من الحيرة وأهل الحيرة تعلموها من أهل الأنبار وروى أنه  
 قيل لابن عباس من أين تعلمت الهجاء والكتاب قال من حرب بن  
 أمية قيل ومن أين علمه ذلك الطارئ قال بالنقل من كاتب الوحي لهود  
 عليه السلام ولما تعلمها حرب بن أمية تعلمها منه ابنه أبو سفيان  
 ابن حرب ثم تعلمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش  
 وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سفيان أما أهل المدينة  
 فكانت الكتابة العربية قليلة فيهم وكان يهودى من يهود ماسكة  
 قد تعلمه وكان يعلمه الصديان فجاء الاسلام وفيهم بضعة عشر

يكتبون منهم سعيد بن زرارة والمزدي بن عمرو وأبي بن وهب وزيد بن  
ثابت ورافع بن مالك وأسيد بن حضير ومعن بن عدي وأبو عيسى  
ابن كبير وسعد بن الربيع وأوس بن خولة وبشير بن سعد  
قال صاحب الأبحاث الجميلة والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي  
ومنه استنبطت الأقلام (وذكر) صاحب اعانة المنشى أن أول ما نقل  
الخط العربي من الكوفي إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن  
في أواخر دولة بني أمية وأوائل الدولة العباسية ويقال إن جودة  
الخط انتهت إلى رجلين من أهل الشام هما الضعك وإسحق بن حماد  
وكانا يخطان الجليل وكان الضعك في خلافة السجاح وإسحق بن  
حماد في خلافة المنصور والمهدي ثم أخذ إسحق بن إبراهيم السجزي  
عن إسحق بن حماد الجليل وأخترع منه قلمًا أخف منه سماه قلم  
الثلاثين وكان أخط أهل دهره به ثم اخترع من قلم الثلاثين قلمًا سماه  
قلم الثلث وأخذ يوسف أخو إبراهيم السجزي القلم الجليل عن  
إسحق أيضًا وأخترع منه قلمًا أرق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به  
ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون وأصره أن يحرر المكتب  
السلطانية به ولا يكتب لغيره وسماه قلم الرياستي قال بعض المتأخرين  
وأظنه قلم التوقيعات وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف  
بابن أوقف أجل الكتاب خطًا في الثلث وكان ابن الزيات يعجبه خطه ولا

يكتب بين يديه غيره وانتهت رياسة الخط بمصر في زمن ابن طولون  
الى طباطب الخرز جودة واحكاما قال في صناعة الكتاب وكان أهل  
مدينة السلام يحسدون أهل مصر عايسه ثم انتهت جودة الخط  
وتحريره على رأس الثمانمائة الى الوزير أبي علي بن متلاية وأخيه  
عبد الله فانهما ولدا طريفة اخترعاها وكتب في زمنهما جماعة فلم  
يقاربوهما وتنفرد أبو عبد الله بالنسخ والوزير أبو علي بالدرج وكان  
الكامل في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها  
وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومقاربها وأخذ عنه محمد  
ابن السمانى ومحمد بن أسد وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علي  
ابن هلال المعروف بابن البواب وهو الذي أكل قواعد الخط وتممها  
واخترع عدة أقلام استقرت أصولها على خمسة وهى الثلث والرقاع  
والتوقيعات والنسخ والمحقق وعنهما تفرعت سائر الاقلام من الغبار  
والشعر والمنثور والحواشى وغيرها ومن أخذ عن ابن البواب  
محمد بن عبد الملك وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيخة المحدثه  
الكتابه زينب الملقبة بشهيدة بنت الابرى وعنه أخذ أمين الدين  
ياقوت وعنه أخذ الولى الجهمى وعليه كتب العنيفة وعنه أخذ الشيخ  
شمس الدين بن أبي رقيه محتسب القسطاط وهو ممن عاصرناه وعنه  
أخذ الشيخ شمس الدين الزنتاوى المكتب بالقسطاط وعنه تلقينا  
الكلام فى هذا الفن انتهى باختصار

ومن أخذ عن الشيخ شمس الدين بن أبي رقيقة الشيخ شهاب الدين  
غازي وعنه أخذ شمس الدين محمد الوسمي وعنه أخذ الشيخ عبد الرحمن  
ابن الصائغ وعنه أخذ خير الدين المرعشي وعنه أخذ شيخ همدان  
الطريقة محمد الله المعروف بابن الشيخ وهو الذي أجاد في تحسين  
الكتابة وعنه أخذ ابنه مصطفى دده وعنه أخذ ابنه الدرويش محمد  
وعنه أخذ بير محمد وعنه أخذ حسن أفندي الاسكنداري وعنه أخذ  
خالد أفندي وعنه أخذ الدرويش علي وعنه أخذ حسين أفندي  
الجزائري وعنه أخذ السيد محمد أفندي الثوري وعنه أخذ  
اسماعيل أفندي وهي وعنه أخذ عثمان أفندي الشهير بالبلقجي  
وعنه أخذ ابراهيم أفندي مؤنس وعنه أخذ ولده الخطاط الشهير  
بمصر الآن محمد المعروف بمؤنس كذا في كتاب الميزان المؤلف له

### (الفصل الثالث في الكلام على اللغة العامية)

(من حيث ما يتعلق به من القنون العربية)

انما تكلمنا على العامية من هذه الجهة لتكشف حالتها ازاء اللغة  
الفصحى ويلم مقدار ما بينهما من الاشتراك والافتراق  
اعلم أولا أن المعاني سواء كانت وجودية أو عدمية ذهنية أو خارجية  
لا تختلف باختلاف اللغات سواء كان دالها لفظا أو كتابة أو إشارة  
أو غير ذلك والدال من حيث كونه دالا سواء كان لفظا أو نقشا

تابع في الوجود للدلالة ويختلف باختلاف اللغات بخلاف المدلول فهو واحد في نفسه وليس وجوده تابعاً لوجود داله فالمعاني سواء كانت بمفردات الالفاظ أو الجمل لا تختلف منزلتها في الافهام وغالبها معهود للعقول فالحقيقة اذا أدركها زيد فهي هي اذا أدركها عمرو سواء كان يدل عليها بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام والمعنى اذا أصابه الكلام أو لم يصبه فهو ثابت في نفسه وذلك كما اذا كان المطالب بالكلام الدلالة على معنى يقتضيه الحال كالتأكيد المنكر مثلاً وجاء الكلام على غير المطالب فالمعنى الواجب مراعاته لم يزل متمسكاً بهذه الصفة في نفسه ولم تنقلب حقيقته ولم تتغير صفة مجرد انطفاً أو انقلاط الكلامي والالزام من اطلاق لفظ فرس على زيد غلطاً أو خطأ انقلابه من الانسانية الى القرصية وهو باطل ويدل على هذا كانه قولهم (حقائق الاشياء ثابتة) وحينئذ فليست المعاني نفسها موضوع اللغات والالفاظ اختلفت هذا خلف فثبت أن موضوعها انما هي الالفاظ ليس الا وأن المعاني سواء كانت مفردة أو مركبة تشترك فيها اللغات بدلالة الالفاظ عليها فكما أن مفردات الالفاظ في كل اللغات تشترك في الدلالة على المعاني المفردة فكذلك الجمل المركبة في كل لغة تشترك في المعاني المركبة وقد قلنا ان المعاني غالبها معهود للعقول البشرية خصوصاً المنهومات العامة كالنفي والاثبات

والانكار والتأكيد والايجاز وما يقابله والتشبيه والكناية الى غير ذلك مما لا يستغنى عنه ناطق ويقتضيه مقام التكلم في وقت دون وقت ويستلزمه البيان في حال دون حال ويظهر ذلك كثيرا للناظر في اللغات اذ كثيرا ما يرى عبارتين من لغتين قد اتفقتا في المعنى أو اشتركتا في وجه من الوجوه المذكورة ويظهر ذلك بوجه أجلى في الترجمة من لغة الى أخرى مع المحافظة على معنى الاصل المترجم فهذا كله دليل على أن اغراض البلاغة تشترك فيها سائر اللغات لا فرق بين لغة وأخرى الا في كيفية طرق الدلالات مما يتبع الاحوال اللفظية فان تشبيه الشيء بما يفوقه في الحسن أو القبح مثلا وبالعكس والتكنية عما يستبشع ذكره والتأكيد للمتكبر والاطناب في وصف الامر المحبوب والايجاز في مقام يقتضيه واستعمال كلمة في غير معناها الاصلى لقصد المبالغة في مقام المدح أو الذم كل ذلك مسوق اليه الانسان بفطرته الاولية فاغراض البلاغة من لوازم اللغات لاتراياها والمتمدنون والمتوحشون فيها سواء والاختلاف في أمور عرضية لافي ذات المقاصد الاصلية التي هي مرجع الاحساسات الانسانية في كل مكان وزمان فامتياز اللغات انما هو فيما يرجع امره الى الالفاظ واحوالها ولذلك فهي تمتاز بميزات من هذا الوجه تختلف اختلافا بينا الا أنها

ثبتت على أوضاع وأصول تقررت ومضى عليها العمل بين الأمم بحيث صار يعد ما يخالفها في أمر ما خارجا عن قانون كل لغة أختيا عن طبيعة الاستعمال المألوف سواء كان فيما يختص بأبنية الالفاظ المفردة أو ما يتصلق بأساليب الكلام أو نحو ذلك مما يرجع الى موضوعات اللغات وكلامنا فيما استقر عليه الامر من القواعد والاصول الحافظين اقوام كل لغة لاقيا تقتضيه ظروف الاحوال من تهذيب اللغات وتقدمها بتقدم الأمم في سبل الحضارة والتقدم بحسب ما يناسب أحوال كل أمة فان ما هو من هذا القبيل لا يستلزم تغييرا في اللغة بادخال ما ليس منها فيها بل هو بعينه من باب انتخاب الاحسن من الطرق الكلامية على وفق هذه الاحوال طبقا للقواعد والاصول ترويجا للافادة والاستفادة المتصودتين من اللغة ولا شك أن الاستعمالات اللغوية وخصوصا الاساليب الكلامية تستتبع ملكات تشبه الملكات الصناعية فتحتمل من الطرق العملية ما لا يدخل تحت حصر من التحسين والتهذيب لولا أن قدرة الانسان تقف به عند حد معلوم

أما اذا خرجت اللغة عن أصولها الاولية وداخلها من التغيير والتبديل ما لا ينطبق على أوضاعها المرعية لأمر حدثت قبلت اللسان وحولات سننه عن مجراه الطبيعي فمثل هذا ما لو حل باللغة

لصارت به لغة أخرى غيرها بالنظر لما كانت عليه وآلت إليه ولو  
بقي الاشتراك بين الأولى والثانية في جلّ المواد اللفظية وكثير من  
الأساليب الكلامية وذلك لأن اللغة لا تعدّ أنها هي إلا بكونها حاضرة  
لجميع مميزاتها لم ينقص من أحوالها المعتبرة شيء فأنه ما من شيء من  
تلك الأحوال إلا وله من الفوائد اللغوية ما يقتضيه فهو لم يكن عبثا  
ولم يوضع جزافا

واعتبر ما ذكرناه بحال اللغة العامية تراه منطبقا عليها كل الانطباق  
فلا يسعك حينئذ أن تطلق عليها اسم اللغة العربية إلا بضرب  
من التجوّز لعلاقة الشبه من بعض الوجوه ولكن هذا لا يأتيناك  
بفائدة مادمت تنظر كلا منهما بنظر يغيّر نظر الأخرى فتمثّل بما  
قيل

أما الخيام فإنها كخيامهم \* وأرى نساء الحى غير نسائهم  
ومنه تعلم فساد ما زعمه ابن خلدون كما ستقف عليه في محله إن شاء  
الله تعالى

وحينئذ فلم يبق لنا من سبيل التمسك على العامية من الفنون  
العربية إلا من جهة ما تقتضيه قطرة العوام مما يأتي لهم عنوا  
منطبقا على كثير من أحكام البلاغة وغيرها ومنه تعلم أن هذه اللغة  
لها نصيب في الجملة من هذه الفنون العربية

فالعوام يختلفون في طرق الابانة وينتجون بعض مقاصد البلاغ  
بالفطرة وان لم يعرفوا وجوهها المعتبرة فيها على وجه التفصيل  
قانهم بالضرورة لا يميزون بين معاني الحروف ولا بين الحقيقة والمجاز  
والتشبيه والكناية وغاية الامر أنهم اذا ارادوا المبالغة في امر  
هدتهم فطرتهم الى استعمال شئ من ذلك فيقولون مثلا في المجاز  
بالاستعارة التبعية (فلان موت فلان من الضرب) اذا ضربه ضربا  
أليما فهم أنفسهم يفرقون بين معنى الموت والضرب الاليم فاستعملهم  
في هذا المقام لنظ الموت بدل الضرب الاليم الذي يعنونه من الكلام  
دليل على أنهم عدلوا عن الحقيقة الى المجاز عن قصد لارادة  
المبالغة استناضا للسامع الى الانتقام مثلا وما يظهر من علامات  
الاستغراب والتعجب على أسرار وجوههم وما تعرفه من أحوال  
كلامهم عند استعمال المجاز الذي هو محل المبالغة ربما يقوم قرينة  
مانعة عن ارادة الحقيقة ويسهل عليك معرفة الفرق بين ما يستعملونه  
حقيقة وما يستعملونه مجازا وقس على ذلك التشبيه والكناية وما  
يلحق بهما وكثيرا ما يفهم من كلامهم أن الحقيقة تسمى  
عندهم (جد) والمجاز (تهويل) أو (تجسيم) أو (هزار) أو نحو ذلك  
والتشابه كثيرة في كلامهم ولهم فيها مسالك شتى وأكثرها من باب  
التشبيه البليغ وخصوصا في أنواع البيعات من المأكولات

والمشروبات وغيرها وكثيرا ما يستعملون الاطناب في الشتائم والمدائح  
والايجاز في مثل السؤال عن حال الاهل والاقارب والاصحاب ولو  
تبعنا كلامهم ل طال الشرح وآدى الى الاسهاب وعلى الخاذق  
اللبيب أن يقيس على ما ذكرناه ويكفيها كافة التفصيل فان استيفاء  
هذا الباب مما ينوت معه غرض هذه المقدمة المبنية على الايجاز  
وبالجملة فجهلهم بحقائق هذه الاصطلاحات لا يقدح في فطرتهم  
وسرعة بديعهم فقد علمت أن كل أمة تنحوي في لغتها وان كانت  
العامية مقاصد البلغاء والنصحاء وان اختلفت العبارة وتباينت  
المقالة بين من نسميه عاميا ومن نسميه عالما أو فصيحيا ومن تتبع كلام  
العوام يراه مشتقلا على نكت غريبة وملح ظريفة ومحسنات بديعة  
ربما لا يوجد مثلها في الكلام البليغ فان المعاني التي يدركها  
البليغ قد يدركها العامي وبالعكس وكل منهما يلبسها عبارة على  
قاعدة لغته والفرق الواقع بين اللغات لا يؤثر في المدارك شياً كما أن  
العلم بالفنون العربية بالنظر الى الفطرة البشرية قد يتساوى مع  
الجهل بها فقد كانت العرب لاعلم لها بهذه الفنون وكانت لغتهم  
محفوظة في الصدور لاني السطور ومع ذلك فكان لايشق لهم  
غبار في مضممار البيان فأين منهم المولدون وان باغ الواحد منهم  
مبلغا عظيما من العلم بفنون اللغة فقد يتكلف شطرا من بيت فلا

يأتى به الابد جهد جهيد وربما يكون مع ذلك بعيدا عن غرض  
الاستحسان وكان العربى الخلف يأتى بالقصيدة ارتجالا فتأتى كلها  
سماوا واحدا كل بيت منها يقف الزمخشري في ساحتها لا يبدى خطايا  
ولا يخرج جوابا

فقل لى هداك الله اذا كانت العرب لاتعرف شيئا من علوم الحقيقة  
والبحار فن أين لها هذه الاذواق السلمية وطرف اللطائف التى  
لاتصدر الا عن طباع كريمة فلا يسمعك حينئذ الا أن تحكم للفطرة  
البشرية بأنها واحدة الحقيقة فى أفراد الانسان على اختلافها  
وهذه الفطرة كما كانت للعرب هى لغيرهم من عوام الناس وخاصتهم  
والاحساسات الانسانية والعواطف البشرية لاتفاوت فيها من أصل  
الفطرة والمدارك مهما تشعبت واختلفت فرجعها كلها الى هذه  
الاحساسات وتلك العواطف وما تراه فيها من الاختلاف انما هو  
تخالف طفيف لامور عرضية لاتبدل من أصل الفطرة شيئا فبان  
لك من هذا كله أن العاصم قد يرمى بكلامه عن قوس البدئية الى  
أغراض البليغ فيصيبها ونعد ذلك من توافق الخواطر والافكار  
ويعنى بقولنا عن قوس البدئية انه ياتى بالكلام من غير تكلف فى  
اختيار العبارات التى يفصح بها عن ضميره بل يأتى به كما كان العربى  
القح يأتى به فيصيب ما فى خاطره مستوعبا لجميع مقاصده لانه

مامن شئ يمين على أداء المعنى المراد نفا صريحاً لا لبس فيه ولا  
تدناء سوى البديهة النظرية السليمة وما من أمر يبلبل الخاطر  
ويعوق سابق الفكرة ويرى الالعية بالحق إلا التقييد بالوقوف  
عند حد الاستحسان باختيار المعاني الغريبة والعبارات الناصحة  
والنكت المستملحة كما يقع ذلك لكثير من الشعراء والخطباء  
فلا يرد عليهم هذا التكلف شيئاً مما يريدون ولولم يقيدوا خواطيرهم  
بـ هذه القيود الثقيلة لجزت قرائحهم في ميادين البيان وتواردت  
عليهم المعاني المخترعة والعبارات البديعة عفووا بلا كد لأذهانهم  
وكدح لأفهامهم وكم من سليم الفطرة سلس الطبع سريع البادرة  
الترم هذه الطريقة العقيمة وكلف طبعه بما فوق الطاقة جرياً مع  
خياله العاطل ووهمه الباطل فصار كمن كلما لمح برقاً ظن  
فيه ودقاً أو من إذا نظر على بعد سراياً حسبه ماء فيذهب كل  
ناحية لدرك أمانيه وهو لا يدرك مع الجهد إلا إعياء وشدة وعناء  
فيهود خاسئاً خاسراً

وأكثر ما يكون ذلك من تأثير قوة الوهم في نفس الكاتب فيخيل له  
ان كل ما يكتبه يأتي مجرداً عن الاحسان بعيداً عن حد الاجادة  
فلا يروق في عينه شئ منه وان كان حسناً في نفسه فلا يزال  
يستبدل جملة بأخرى ويتردد من معنى الى غيره حتى يلحقه الملل

ويعييه الكلال فيرى بالقلم والقرطاس ويدركه اليأس والقنوط  
من العودة الى الموضوع وربما عنيت له سانحة بعد ذلك إثر هذا  
الاعياء فيراها غاية في الاحسان وتحل عنده محل الاعجاب فيقيدها  
وان كانت في الواقع أقل بكثير مما كان يأتيه في بادئ الامر عدوا  
ثم اذا ازداد به هذا الوهم صار وسواسا ملازما وخبالا في العقل  
دائما وهذا كله ناشئ عن التزام التكلف وسلوك التعسف في اختيار  
أبداع ما يكون من العبارات

فما أربح صفقة ممن يجري مع بديته ويسلم قياده لقطرته فلا  
يتكلف في الخطاب الا بقدر ما يدرك المعنى ويميز خطأه من صوابه  
ثم يفرغه في قالب الالفاظ حسما ييسر له وهذه حالة كثير من  
العوام فمنهم من هو أسرع جوابا وأبين حجة وخطابا من بعض  
من اهلهم كبير احاطة بالفنون العربية

واعلا في كتاب التحفة تطاع على جبل من أمثالهم وشواهد من  
خطاباتهم الشائعة على ألسنتهم سواء كان مما يتعلق بالمناداة على  
الاطعمة والمبيعات عند السوقة ومن نعتهم من أخلاط الرعاع أو مما  
هو من قبيل أغانيهم لتعليب الاطفال أوفى الافراح أو من قبيل  
الذي في المآثم كما تفعل النائمات الى غير ذلك مما هو متداول على  
ألسنتهم من مخترعاتهم التي انفردوا بها لتعلم كيف أنهم يقتدرون

بنظرتهم على لطائف العبارات مع بساطة تركيبها وقرب معانيها  
وسهولة ما اتخذها وسداحة قائلها وما عليك الآن ترد كل نوع الى  
ما ينطبق عليه من فنون البلاغة

أما علاقة العامية بفن النحو فضهيفة جدا ان لم نقل انها منقطعة  
بالكلية لان النحو انما يبحث عن اللفاظ من حيث اعرابها وتركيبها  
وحركات الاعراب من خصوصيات اللغة الفصيحة فلاحظ للعامية  
منها وذلك لان جميع اللفاظ فيها ملازمة للسكون كالفطال اللغات  
الافرنجية والذي يظن أن الحامل على اعمال الحركات انما هو  
استسهال الشكك بدونها فان اللسان اذا لزم في أواخر الكلمات حالة  
السكون سهل عليه التلنظ بها وكان اسرعه به بمقدار بطئه بنطق  
الحركات ومنشأ ذلك تغير حال اللغة ب مباشرة الاعاجم كما ستقف عليه  
في كلام ابن خلدون

فنقصت اللغة باهمال الحركات ما يتم به أمر الدلالة وقد قال ابن  
خلدون كما ستقف عليه انه قام مقام الحركات بعد اهمالها أمور  
أخرى كالقديم والتأخير وقرائن الاحوال وأنت خير بان القرائن  
لا تنحصر ولا تنضب فان لم يكن هناك ما يدل على المراد من الأمور  
الانظية فالابس في المعاني غير مأمون وهذا التقديم والتأخير غير  
ملتزم بخصوصه في كل كلام ولا عند كل متكلم بالنظرة الاولى اذ

النظرة العربية قد تغيرت ولم تجدد فطرة أخرى يكون من مقتضاها هذا الالتزام وقد قررنا أن التغيير والتبديل في اللغة العامية لا يقفان عند حد في زمن ما مادام سببهما وهو الاختلاط حاصلان الماسب لا ينقطع مادام السبب موجودا الا أن يكون هذا التقديم والتأخير مصطلحا عليه ولا يخفى أن الاصطلاح في ذلك لا يعلم الا عند طائفة من الناس وهم الذين وجد بينهم هذا الاصطلاح على أن مجرد العلم بهذا الاصطلاح وان كان عاما لا يفيد الغرض الا اذا كانت مراعاته ملتزمة من جهة الفطرة كما التزمت الحركات في لسان مضر بالفطرة لا بمجرد الاصطلاح عليها بين من كانوا يتكلمون بها ولو كان مجرد العلم بأي اصطلاح يترتب عليه أن يجري العمل على مقتضاه لكان كلام المولدين العالمين بالفنون العربية يعتبر ككلام العرب أنفسهم في مقام الاستدلال والاستشهاد ولما نهجوا في التخاطب العام منهج العوام ولما وقع خطأ في الاجتهاد عند من يعرفون طريقه وأحكامه وبالجملة لكان العلم مستلزما للعمل على الوجه الاكمل

فان قلت فاذا كانت الحركات مستثقلة في اللفظ لما يلزم عليها من زيادة التعليل والتكلف في النطق فهلا كانت اللغة العربية عارية عن هذه الحركات بحسب الاصل وكانت وجوه الدلالة تتعين بالانفاظ

أوبأساليب التركيب كما في اللغات الأخرى وكان هذا يقوم دليلا  
على فضل اللغة العربية على غيرها من اللغات فإن سهولة النطق  
باللغة مما يميزها على سواها

قلت ان القول بأن هذه الحركات تستلزم تسكنا في النطق انما يسلم  
عند غير العرب أو الذين استجبت طباعهم أو مات بهم إلى غير  
الفطرة العربية أما العرب فلا يقال انهم كانوا يتكلمون النطق  
بالحركات مادام ذلك من مقتضيات فطرتهم وقد كان الواحد منهم  
يحاول به الغير الخروج عن مقتضى فطرته من النطق بما لا يجوز  
في اللغة فكان يتعذر عليه ذلك

على أن الحركات قد يدل بها على أحوال أخرى مما يقتضيه المقام  
غير تعيين الفاعل من المفعول مثلا وهذا مما يحسب من فضائل  
اللغة التي منها امتياز أساليبها بالاختصار مع جمع المعاني بسبب دلالة  
هذه الحركات على ما لا يدل عليه في غيرها إلا بالانفاظ ومنها أن  
أساليبها صالحة لإداء المعاني بطرق مختلفة الدلالة في الوضوح بحيث  
ان كل تركيب يمكن أن يستعاض عنه بآخر يكشف عن المعنى  
بوجه أجلى أو أخفى بحسب الحاجة فضلا عما يتفهمه من النكات  
الادبية والمحاسن اللفظية ومنها كثرة مترادفاتهما بحيث يؤدي فيها  
المعنى الواحد بالفاظ شتى حتى ان كثيرا من المعاني له في العربية

مئات وآلاف من الاسماء ومنها قلده المشترك اللفظي بخلاف كثير  
من اللغات الاخرى فقلبا تجدد فيها لفظا غير مشترك بين جملة من  
المعاني وقد يكون له مئات من المعاني بحسب دخوله في التركيب  
المختلفة ومثل ذلك يحسب من عوز اللغات وفقرها  
وأما أحوال التركيب في العامية فانها تشبهه في كثير من الصور  
الكلامية أحوال التركيب في اللغة الفصحى وليس الشبه في  
ذلك قاصرا على اللغة العربية فان كل اللغات يشبه بعضها بعضا  
في غالب التركيب كسببها في البلاغات ويظهر هذا كثيرا في ترجمة  
بعض عبارات من بعض اللغات الى بعضها مع المحافظة على أسلوب  
المترجم اذ كثيرا ما يمكن ذلك مع عدم اختلال المعنى أو فساد التركيب  
وحيث فلا امتياز للغة العامية من هذا القبيل على أنا نرى فيها  
كثيرا من التركيب الفاسدة بالقياس الى القواعد النحوية  
وأما حفظها من فن الصرف فليس بأوفر منه بالقياس الى النحو اذ  
كثيرا ما نرى فيها كلمات جاءت في كلامهم على غير أصول الصرف هما  
يختص بالادغام والفك والجمع والاشتقاق والتصغير ونحوها وتراهم  
يكسرون حروف المضارعة أو يتنحونها أو يظهونها حيث لا يجوز  
شي من ذلك وقد كثرت في كلامهم ادخال الباء على المضارع باطراد  
اذا أرادوا به الحال فيقولون يياكل يشرب اذا كان يأكل أو يشرب

في الحال وكثيرا ما نسمع في كلامهم مصادر وأسماء فاعلين أو مفعولين  
مأسمع منهم لها أفعال وبالعكس وان كان منها ماله في أصل اللغة  
مشتقات لا يعرفونها الى غير ذلك مما يطول شرحه ويهدد حصره

فقل لمن يريد أن يضع لهذه اللغة أصولا تضبطها وتكفل طرق  
التصرف فيها انه اذا أسكن ذلك ولا أراه ممكنا لأصبحت على حال  
غير ما هي عليه فلا تكون هي ذات اللغة العامية المستعملة الآن  
بل تكون لغة جديدة تحتاج الى تعليم وتدريب وصرف مال جزيل  
ودهر طويل وعناء شديد وهيئات أن يجمع شتيتها في أصول  
واحدة فانها تختلف باختلاف الاقطار بل تعدد بتعدد البلدان

❦ لتكلم الآن على اللغة العامية من حيث ما يتعلق بها من فن  
العروض وتكلم أولا على الشعر بوجه عام فنعول

ان الشعر ملائمة نفسانية بها يقتدر الانسان على نسج الكلام بطرق  
مخصوصة للتعبير عن مقصده وذلك أنه عند ما يحس بأثر أمر ملائم  
أو منافر تنبسط به نفسه أو تنقبض ينساق بطبعه الى اظهار شعائر  
هذا الاثر لما تستدعيه خنسة الطرب أو شدة الالم فيتحرك لسانه  
عذوا بكلام يشير به الى حاله ويصرح بما في نفسه بحيث يكون  
أوقع في النفس وأشد تأثيرا على السمع ليستلقت الناس اليه  
فيقبلوا عليه ويكون لهم معه نوع ما من الاشتراك في هذا الاثر ولا

شك أن هذا الاشتراك يكون أولاً بالاحساس الباطني ثم يتبع ذلك ما يظهر على الاعضاء الجسمانية من الحركات الموجهة الى جلب الملائم أو دفع المنافر وهذا الغرض هو المدفوع لنواله هذا الشاعر بطبعه فهو اما أن يطالب المعونة على تحصيل المحبوب أو التخلص من المكروه وهذه كلمة شعر تؤذن بالشعور فهذا الاسم قد لوحظ فيه ما هو الغاية منه

ومن البديهي أن الكلام الذي يعرب به عن المراد في هذه الحالة يكون بكيفية خاصة من جهة لفظه أعني كيفية صوته فيختلف باختلاف الاحوال اذ يكون له في الفرح كيفية ليست له في ضده وهذا الاختلاف لازم للملكة الشعر لزوماً طبيعياً ولا يخفى أن كيفيات الصوت وما يتعلق بها يرجع البحث فيها الى فن الموسيقى وحينئذ فالشعر له تعلق طبيعي تام به لان الموازين الشعرية ما اختلفت الا باختلاف كيفية الاصوات

ثم ان الملكات الانسانية موجودة بالقوة في النفوس البشرية وتظهر آثارها بالفعل عند ما يهيئ لها الانسان بالعمل نظامات وضعية مخصوصة وكل ملكة تتحمل من الاعمال ما لا يدخل تحت الحصر فملكه الموسيقى كملكه الشعر كتاهما من الغرائز النفسانية ولا يظهر منهما عند العمل الا ما يدخل تحت نطاق القدرة البشرية

المحدودة فسبب وقوف الاعمال عند حدود ليس في الحقيقة هو  
قصور الملكات بل ضيق الامكان المخصص بالقوى الانسانية  
واذا علمت أن الانسان منطور على الملكات الشعرية فالشعر يوجد  
في كل اللغات وليس حصر أوزانه في عدد مخصوص لقصور في  
الملكات بل لضيق دائرة القدرة البشرية فهذه مقامات الموسيقى  
تعد بالاصابع غير أن الاصوات بحسب ما يتفرع عنها قد لا تدخل  
تحت العدة وذلك بحسب ازدواجها وامتزاج بعضها ببعض على  
أنحاء شتى وما قيل في مقامات الموسيقى يقال في أوزان الشعر لرجوع  
هذه الى تلك ولو كان حصر الاوزان في عدد خاص طبيعيا لما  
اختلفت باختلاف اللغات ولما وقع في عدها خلاف فقد ذهب  
الخليل الى أنها خمسة عشر وزنا وذهب الاخفش هرة الى أنها  
أربعة عشر بحذف المضارع والمقتضب حيث ادعى أنهما لم يسمعا  
من كلام العرب وهرة قال انها ستة عشر حيث زاد على ما قاله  
الخليل بحر المتدارك وهذا الاختلاف يرجع الى استقراء كلام  
العرب والاستقراء من الظنيات لا اليقينيات ولا شك أن الخليل  
والاخفش لم يستقرتا من تاريخ العرب الغابر الا الوقائع المعلومة ولم  
يتلقفا من كلامهم الا ما وصل اليهما منه وتداولته الالسنه ووعتها  
الناس لشهرته وندرته غالبا وربما لم يزل في الروايا خبايا لو اطلعا عليها

لزادت الأوزان على ماقرراه وأثبتاه وهذا لا تأباه بديهية العقل سيما وقد عرفت أن الملكات النفسانية لا تقف عند حد ولا تنحصر أعمالها في عدد ولهذا قد زاد المولدون على أوزان الشهر الفنون السبعة التي لم تنطق بها العرب على رأى الجمهور وهى السلسلة والدويبة والقوما والموشح والزجل وكان وكان والمواليات فهذه الفنون قد ولدها الملكة الشعرية التي ولدت الأوزان المعلومة عند مارج سوق الشعر وورى زناد ملكته وتنافست فيه العلماء والادباء في الدول الاسلامية المتوسطة ولا يقدح في عدد هذه الأوزان من الشعر اصطلاح العلماء على أن الشعر هو ما كان على وزن من الأوزان المعلومة نعم انه شعر لم تنطق به العرب كما قالوا ولكن سلب اسم الشعر عنه مطلقا لا يسلم لما علمت انه مولد عن ملكة شعرية لآعن ملكة التجارة والحدادة مثلا وبناء على ما فصلناه يمكنك أن تعد من قبيل الشعر أناشيد العوام على اختلافها بل وورطانة السودانين على ايقاعات حركاتهم عند الرقص المعروف بمصر برقص العبيد فانها ألفاظ ذات أصوات منتظمة على ألحان موسيقية واذا توسعنا في النظر نرى من قبيل الشعر على قاعدتنا غناء البلابل وسجع الحمام وصياح الديكة ونقيق الضفادع وصرير بنات وردان وطنين الذباب ونحو ذلك فان جميع

الحيوانات تحس كما تحس بالملامح فتقبل عليه وبالمنافر فتعرض عنه  
فإذا ألم بها أمر وأحست له من أنفسها انقباضا أو انبساطا ربما  
تهتف بهذه الاصوات على كينيات مخصوصة كما يهتف في حال الانسان  
فإذا كنا نعد بعض رطانة المتوحشين وأصوات الحيوانات العجم من  
قبيل الشعر على قاعدتنا فأولى من ذلك ما يردده العوام في مغانيهم  
وهزائهم فان ذلك يرجع غالبه الى النون السبعة المذكورة  
والقليل منه ينطبق على أوزان الشعر المشهورة ولعلك بهذا البيان  
تعلم نصيب اللغة العامية من فنون الشعر

والمشون منهم لامثال هذه الاناشيد لا يقصدون وزنا خاصا لان  
الاوزان المشهورة ولا من الفنون السبعة بس بل ينطقون بها على  
مقتضى النظرة خالهم في ذلك يشبه أن يكون كمال العرب فانهم  
ما كانوا يعرفون هذه الاوزان حفظ العامة من الشعر فظروا لصناعي  
ووزنهم اتفقا فخرج بذلك عن الشعر المصطلح عليه عند العروضيين  
فان تعريفه عندهم (الكلام الموزون قصدا بوزن عربي) وكم  
للعمامة جعل من قبيل النثر ومنشآت من النظم على قواعدهم ولهم  
في المحامرات أفانيس كثيرة يأتون بها في محادثاتهم من قبيل الاستشهاد  
على الوقائع والقصص فان كان هناك فن من الفنون العربية  
لهم فيه اسخط الاكبر فليس الا فن المحاضرات أما اللغة فليس

لهم من العلم بها الا ألفاظهم المحرفة بالسنتهم التي هي معاول  
التحريف أما القوافي وقرض الشعر فلا أزيد فيهما على ما شرحت في  
العروض وكذلك تفنن من يعرف الخط منهم فيه لا يتقص عن تفننهم  
في الالفاظ

فهذه جملة القول في لغة العامة من حيث نسبتها الى الفنون  
العربية ومنها تعرف حالتها بالقياس الى اللغة الفصيحة وبالاجمال  
فاللغة العامة ليس لها من علوم الادب الا ما يأتي به توافق الخواطر  
الفطري بعيدا عن الصناعة الادبية المخصوصة والعامة أنفسهم من  
حيث الفطرة كبقية اصناف النوع الانساني يمتازون بأحوالهم  
الخاصة بهم كما تمتاز لغتهم بخصاؤها عن النظمات والروابط بحيث  
أصبحت عديدة الفوائد العلمية فخالها كمال لغات المتوحشين الذين  
يقيمون في الجبال والاورية

نبذة في الرد على ابن خلدون في زعمه أن لغة العرب في عهده  
تساوى لغة مضر الا في حركات الاعراب

وإذا علمت أن اللغة العامية هي كل لغة تخالف لغة العرب الفصيحة  
سواء كان في عهدنا أو في عهد ابن خلدون وأنها تنقص بكثير عن  
حال الفصيحة لا في الاعراب الذي يظهر حكمه في أواخر الكلام فقط  
بل في كل وجهه من وجوه الكمال المعتبر به في طرق الإبانة ورأيته

ساق فصلا في مقدمة تاريخه المشهورة ذكر قيمه ما ذكر مما لو اطلع عليه مطلع لراه نصا صريحا في أن اللغة العامية التي كانت في زمنه انما تنقص عن لغة مضر حركات الاعراب فقط وان كان عنوان هذا الفصل يعطى خلاف ذلك وأنت قد علمت حال اللغتين مما شرحناه في الفصل السابق فرأيت أن أستدرك على ما أطال به في هذا الفصل بعد نص عبارته قال

فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحجر

وذلك انا نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الادلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الا أن البيان والبلاغة في المضري أكثر وأعرف لان الالفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لابد أن تكتشفه أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع الالسن أكثر ما يدل عليها بالالفاظ تخصها بالوضع وأما في اللسان العربي فانما يدل عليها باحوال وكمييات في تراكيب الالفاظ وتاليها من تقاليم أو

تأخير أو حذف أو حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت  
الدلالة على تلك الكيفيات كما قدّمناه فكان الكلام العربي لذلك  
أوجز وأقل ألفاظا وعبارة من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله  
عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر  
ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة اني أجد  
في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا  
لقائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لافادة حالى  
الذهن من قيام زيد والثانى لمن سمعه فأنكره والثالث لمن عرف  
بالاصرار على انكاره واختلقت الدلالة باختلاف الاحوال  
وما زالت هذه البلاغة والبيان دين العرب ومذهبهم لهذا العهد  
ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة  
مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت  
وان اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع أواخر الكلام من فساد  
الاعراب الذى يتدارسون قوانينه وهى مقالة دسها التشيع في  
طبائعهم وألقاها القصور في أفئدتهم والافتحن نجد اليوم الكثير  
من ألفاظ العرب ولم تزل موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد  
والتعاون فيه بتفاوت الابانة موجود في كلامهم لهذا العهد

وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم  
وفهم الخطيب المصنوع في محافلهم وشجاعتهم والشاعر المنلق على  
أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم  
يفتقد من أحوال اللسان المدون الحركات الاعراب في أواخر الكلم  
فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة وسهيا معروفا وهو  
الاعراب وهو بهض من أحكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان  
مضر لما فسد لمخاطبتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق  
والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت  
أولا فانقلب لغة اخرى وكان القرآن متنزلا به والحديث النبوي  
منقولا بلغته وهما أصلا الدين والملة نفسى تناسبا وانغلاق  
الافهام عنهما بنسقدان اللسان الذي تنزله فاحتج الى تدوين  
أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه وصار علما ذافصول  
وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهل بعلم النحو وصناعة العربية  
فاصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وسلموا الى فهم كتاب الله وسنة  
رسوله وإفيا وعلما لو اعتمينا به هذا اللسان العربي لهذا العهد  
واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور  
أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصصها وعلما تكون في  
أواخره على غير المنهاج الاقل في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها  
حجانا انتهى

هذا فصل مهم من كلامه نقلناه شهادة عليه بما قلناه وكفانا منه ان شهد لغة العرب التصححة التي هي لغة مضر بالفضل على كافة اللغات ثم قال في خاتمة هذه المقالة فليست اللغات وملاكتها مجبانا فعلمنا أنه ما من لغة الا وهما ملاكات راسخات في طباع من هي لغة لهم تختلف بحسبها أحوال التفاهم والابانة وهذا ما أوجب التفاضل بين الكتاب والخطباء في كل أمة فكانه يقول ان اللغات جميعها في حكم واحد وان كان هناك تناضل بينها

غير أن هذه المقالة وان تضمنت ما كفانا الاستشهاد به على بعض المطالب لكنها بجملتها تشبه الحرباء تلونا فانه سلك فيها مسلكا اضطربت فيه أقواله كل الاضطراب وانى لست أحيل على أمر ليس في أيدينا منه شيء فيها هي هذه المقالة بل هذا الفصل برمته من أوله الى آخره بمراى ومسمع من القارئ والسامع فانه رحمه الله على فضله وغزارة ببله وضع من شأن اللسان العربي الفصيح الذي هو لغة مضر ان يجعل لغة العرب التي كانت متداولة في زمنه وعلى عهده مساوية لهذا اللسان العظيم الشأن وان أفهم عنوان الفصل غير هذا اذ قال في مطلع مقاله اننا نجد (أى لغة العرب في عهده) على سنن اللسان المضرى في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة وقصارى الفرق بينهما انما هو وجود الحركات وعدم وجودها بل لا فرق بينهما من

هذه الجهة أيضا على قوله فان ما فقد من هذه اللغة قام مقامه جملة  
أحوال كالتمديد والتأخير وقرائن أخرى تدل على خصوصيات  
المقاصد والوفاء بالغرض الذي يتأدى باللسان المضري ثم أعقب  
ذلك بالاطناب في حال هذا اللسان من جهة ما امتاز به من كثرة  
البيان والبلاغة وأفاض في هذا الاطناب حتى أيقنا أنه هو وحده  
الذي يصح أن يطلق عليه اسم اللغة العربية حيث قال ان ما يدل  
عليه بأحوال التراكيب وكيفياتها التي تعتبر في الدلالة على المقصود  
والتي منها حركات الاعراب لا يوجد الا فيه وان هذا هو مدار  
التفاضل بين لغة العرب وبين اللغات الأخرى نعم وان كان ذكر  
للغة العرب التي كانت على عهد هذه الأحوال بها تكون الدلالة على  
مخصوصيات المقاصد الا أن هذه الأحوال غير تلك كما يدل عليه  
صريح كلامه فانه ذكر أن أحوال لغة العرب في عهده ليس منها  
حركات الاعراب وأنها من أحوال لغة مضر وان النبي صلى الله  
عليه وسلم لم يؤت بجوامع الكلام الا بالأحوال التي للغة مضر لاسواها  
والتي لولاها لما امتاز الكلام العربي به بكونه أوجز وأقل ألفاظا  
وعبارة من جميع اللسان وبعد هذا الاطناب بهذا البيان السوي  
رجع عن هذه الوجهة التعريفية الى ما كان عليه أولا سيما يشتم  
منه أن اللغتين على حد سواء إذ قال

وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد  
فليت شعري أي بلاغة وأي بيان يريد هما باسم الإشارة والذي  
يتعين ارجاعه لما ذكره من بلاغة وبيان اللسان المضري فان كان  
غرضه غير ذلك كان الأولى له أن لا يذكر اسم الإشارة للتقريب  
حتى لا يعكر علينا صنو القول ويجعلنا نظن به الفطنون التي لا تظن  
بمثله

ثم زاد الطين بلة بقوله ولا تلتفتن في ذلك الى تحرفشة النحاة الخ  
حيث رمى في هذا القول النحاة بالتشيع للاهواء الفاسدة وترويجا  
اصناعتهم وتحسينا لبضاعتهم ووصفهم بما لا يليق من القصور في  
المدارك مما يسود وجهه تاريخهم ويفضي الى الاعتقاد بأنهم  
ما وضعوا فن النحو ودونوه الا طلبا للعظام لخدمة الحفظ سنن  
القرآن والحديث كما صرح به بعد ذلك بهنيهة

ثم زاد الطنبور نعمة بقوله (والا فحن نجد اليوم الكثير من ألقاظ  
العرب ولم تزل موضوعاتها الاولى) مع اننا لا نشكر عليه هذا القول  
ولكن لا يقوم له دليلا على أن قوله الكثير يقيد أن اللغة ضاع  
من ألقاظها شيء وان أوهم أنه قليل وكفى بذلك برهانا على انقلاب  
طالها سيما اذا كان هذا الضائع استبدل بالألقاظ أعجمية ثم عطف  
على ذلك قوله (والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة

وجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في خطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم وجماعهم والشاعر المفلح على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك) هذا كله مجموعة بلا طعن ودعوى يكذبها العيان اذ ليس كل تعبير عن مقصد أو تفاوت في إيانه يعد من البلاغة السامية التي تكفل بها اللسان المضرى ثم ما هي أساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر الموجودة في خطبات هؤلاء العرب الذين تلبت ألسنتهم بمخالطات الاجنبيين من سوريين ومصريين ومغاربة كما صرح به نفسه بعيد ذلك بقوله (وانما وقعت العناية بالسان مضر لما فسد بمخالطتهم الاعاجم الخ) اذ لا يبقى بعد سدا الفساد نثر ولا نظم ولا خطابة من خطيب مصقع ولا شعر لشاعر مفلح ولا فهم لهذا كله الا من تعلموا قوانين هذا اللسان المضرى اللهم الا أن يريد بالنظم والنثر ونحوهما مما لم يزل مستعملا بين العرب ما هو من قبيل ما تلى على القهاوى ونحوها ممن يسمون في هذا العصر (محدثين) فان كان يزعم أن هؤلاء هم الخطباء المصاقع والشعراء المفلحون فهو اصطلاح جديد له لانعراضه فيه وما أحسن ما رآه صوابا بقوله (ولعلنا نواعتنا بهذا اللسان العربي لهذا العهد الى قوله فليست اللغات وملكاتنا هجانا) اذ يريد بهذا

القول أن يجارى علماء الفنون العربية الذين دونوا أحكام اللسان  
المضرى وقوانينه حفظا لكتاب الله وسنة رسوله واللغة نفسها حيث  
هى جامعة الامة العربية ومظهر نفوسها وكنوز آدابها فيضع أيضا  
لهذه اللغة المحرفة على عهدنا أحكاما تربطها وقوانين تضبطها حتى  
لا يضيع السواد من قدرها ولا يسرى اليها الفساد فتصبح الامة غير  
الامة والدين غير الدين . . . . .

هذا رأى قد صوّبه في هذا الزمان بعض الاجانب الذين لا يعرفون  
من اللغة العربية الا العامية فتمنى لو كانت هذه اللغة مؤسسة على  
أصول وقواعد كاللغة الفصيحة حتى يستعاض بتلك عن هذه في  
جميع المخاطبات والمراسلات بل والمؤلفات وقد أشبعنا القول في  
الكلام على اللغة العامية وابتنا نقصها وعدم صلاحيتها للتدوين الكتب  
والاستنار العلمية فنستغنى بذلك عن تزيف رأيه ورأى الشيخ بكلام  
خاص فان الرأين قد تماثلا نظرا بل اتحدا موضوعا وباليات أن  
الشيخ أبان عن هذا الرأى بوجهه جلى حتى كان يمكن لمن يجاربه  
فيه من ذكرناه أن يسلك سبيله ويتبع حجته الواضحة ونخطته البينة  
ولكنه ألمع عنه الماعا أخفى من الخناء وغاية ما قال (لواعثينا بهذا  
اللسان العربى لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعمناض عن الحركات  
الاعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين

تخصها ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر  
فليست اللغات وملاكاتهما نجانا) ومعناه أن هذا اللسان العربي  
الذي هو موضوع كلامه انما ينقص عن المضرى حركات الاعراب  
فقط التي لها فيه دلالات مخصوصة فيمكن أن يعترض عن هذه  
الحركات بامور أخرى لم يعينها الا بقوله موجودة فيه فيوضع الهذء  
الامور قوايين تخصصها وترجي أن تكون في الاواخر وأن تكون على  
غير المنهاج الاول في لغة مضر أعني لتعرف بمخالفتها لحركات الاعراب  
ثم انا اذا جاريناه في هذا الكلام الذي ما أبان شيئاً عن معناه فلسنا  
نسلم أن مدار دلالات اللسان المضرى على الحركات لاغير كما  
يعترف هو بذلك بل هناك دلالات أخرى لها طرق خاصة فعلينا أن  
رأيه قاصر فقط على وضع أمور بها يستعاض عن الحركات ليس  
الا يعنى وبذلك تستوفى هذه اللغة حفظها من السكال بحيث تضارع  
اللسان المضرى وفاته أن يرشدنا أيضا عما يمكن الاستعاضة به عن  
كل نوع من الانواع التي لها في البلاغات وغيرها شأن عظيم ولعله  
انما يخص حركات الاعراب بالذكر لانهما ولا أن تكون نموذجاً  
يعرف به وجه الصنعة والافهه نفسه صرح جلياً في الفصل الذي  
قبل الفصل المنقول منه هذه المقالة السابقة المعنون بفصل في أن  
اللغة ملكة صناعية بقوله (ثم انما فسدت هذه الملكة لمضر) أي

ملكه التكلم بلغتهم) بمخالطتهم الاعاجم وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد ككيفية أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع ككيفية العرب أيضا فاختلف عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى وهذا معنى فساد اللسان العربي انتهى

فهذه العبارة تدل بصريحها على أن أساليب لغة مضر قد فسدت بالاختلاط ولم يكن الفساد قاصرا على حركات الاعراب لان الفطرة الأصلية متى تغيرت وصار الناشئ لا يثبت على حال واحدة فلا بد أن يكون هذا الفساد قد شمل كافة أحوال اللسان المضري كما يؤخذ من قوله أول الفصل إلا أن البيان والبلاغة في المضري أكثر فهذه الاكثية تدل بمفهومها على أن قلة البيان في لغة العرب على عهده لم يكن لها من سبب الا هذا الفساد وقوله فاستحدث ملكة يفيد أن الملكة الأولى لم يبق لها من أثر وأن ملكة التكلم بين العرب صارت مغايرة بالكلمة للملكة القديمة ولا يخفى أن ملكة التكلم تشمله بجميع وجوهه وليست قاصرة على حركات الاعراب فقط كما يدل ذلك عليه سياق هذا الفصل من أوله وقد قلنا في أول المقدمة ان هذا الاختلاط قضى على المختلطين

بالاشتراك

بالاشتراك في الانساب لما تجدد بينهم من لغة المصاهرة والقراية  
وهذا بعينه يؤدي الى تغيير بعض الاخلاق والعادات الانملا  
تأذن به الشريعة المطهرة ومن البديهي أن هذا التغيير كما سرى  
الى الاخلاق لابد أن يسرى بطبعه الى سائر أسئوال التكلم وهب  
أنه جارى في وضع قوانين لهذه اللغة علماء الفنون العربية فلا تتم  
فائدتها حتى يتحتم تهيم عليها لكافة أفراد الامة لا فرق بين ذكر  
وأثى وصغير وكبير كيلا تحدث تغييرات أخرى بسبب دوام الاختلاط  
فان دوام السبب يستلزم دوام المسبب وتهيم التعليم بهذه الكيفية  
متعسر الحصول ان لم يكن متعذرا على أن الاولى بالتعليم هو أصول  
اللغة الفصيحة لغة القرآن والحديث

فان لم يقل بتحتم تهيم التعليم كان وضع هذه الاصول عقيم الفائدة  
اذ يصبح بتوالى التغييرات في خبر كان وعلى كل حال فأى أهمية  
لتجشم هذا الرأى وابعازه من القوة الى الفعل بعد ما علمنا أن الذى  
حمل علماء الامة على وضع الفنون العربية انما هو حفظ القرآن  
وكتب السنة من أن يأتي عليها شوط من التحريف والتغيير أو  
ابهام ما فيها باندراس اللغة المضرية ولكن ماهى الفائدة التي يرجوها  
من وضع ما يريد وضعه لغة العرب في عهده أريد كما يريد بعض  
الأجانب المار ذكره أنه بهذه الوسطة تقوم هذه اللغة مقام اللغة

النصيحة حتى في تدوين الكتب العلمية ويصح جميع ما ألف باللغة  
الفصحى في حيز النسيان طمة للسوس ويكون في ضمنه مقدمته  
هذه التي بلغ صيتها المشارق والمغرب وتناقلتها اللغات الأفرنجية في  
الازمان الأخيرة حيث رأى فيها علماء الأفرنج أنها خلاصة أفكار  
حكيمية وزبدة أنظار فلسفية أو أنه كان يادر إلى نقلها للغة الجديدة  
لتلبس بذلك ثوبا قشيبا وتظهر بظهور جديد يكون داعيا لاقبال  
العامة والخاصة عليها ولئن كانت هذه أميته أفكانت قاصرة على  
هذه المقدمة خاصة أو شامله لبقية الكتاب بل ولجدة الكتب الإسلامية  
على اختلاف فنونها فإن كان كذلك فقد كفانا شر ضياع هذه  
المؤلفات التي هي نتيجة عمل الأمة الإسلامية من أول نشأتها إلى  
زمنه والتي لو فقدت لفقدت الأمة دينها وآدابها ولغتها ولئن كان يرى  
أن لا بأس بنقل هذه الكتب إلى اللغة الجديدة فهل كان يرى ذلك  
أيضا في نقل القرآن العزيز أي ترجمته إليها مع كافة الأحاديث  
النسوية أو كان يتحاشى عن ذلك ويبقى فهم كتاب الله والسنة من  
طريقتهم المعهود فإن كان كذلك فهلا وسعه أيضا أن يترك كافة  
المؤلفات على ما هي عليه ويكتفي بفهمها من طرقها المعلومة وعوض  
أن يراحم علماء العربية بأوضاعه الجديدة للغة هذه القاصرة  
يسعه ما وسعهم من الانتهاج على طريقتهم ويصرف عنايته التي

كان يريد صرفها خدمة للغة العرب على عهدده في خدمة اللسان  
المضرى

ان هذه الردود المبنية على تلك الفروض لم تكن في حساب ابن  
خلدون ولم يقصد شيئاً منها في هذه العبارات المنقولة عنه وحاشاه  
من ذلك ثم حاشاه ولكنى ما قصدت بذلك الا استيفاء كافة الوجوه  
المحتملة في ذاتها للرد على كل من يريد أن يستغنى باللغة العامية عن  
الفصيحة ويضع لها أصولاً وقوانين تضارع ما لهذه من الأصول  
والقوانين والله على ما أقول وكيل

### (الفصل الرابع)

في اختلاف العلماء في اللغات هل هي توقيفية أو اصطلاحية

لما كان الغالب على طباع كثير من الناس عدم استماع النداء الى  
ما فيه منافعهم الا من طريق ما جاءت به الشريعة الغراء وان كان  
الاثر المندوب اليه جلي الفائدة كثير العائدة وكانت شريعتنا  
الغراء ما تركت من شئ الا ولها فيه نصوص صريحة وأقوال واضحة  
وكانت افادة التنبيه على فساد اللغة العامية وإعمار الحث على  
الاهتمام بتعلم اللغة الصحيحة يستدعيان من بعض الوجوه الكلام  
على اللغات من حيث كونها توقيفية أو اصطلاحية حدانى ذلك  
الى نقل أقوال العلماء في هذا الموضوع وترجيح ما هو الحق بالترجيح  
منها كما ستقف عليه

قال الجمهور ان اللغات توقيفية علمها الله عباده بالوحي الى بعض  
انبيائه أو بخلق العلم الضروري بها في بعض عباده والظاهر أن  
تعليمها بالوحي لانه المعتاد في تعليم الله تعالى وعزا القول بالتوقيف الى  
الاشعري محققو كلامه كالقاضي الباقلاني وامام الحرمين واستدلوا  
لهذا بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أي الالفاظ كلها فلا خصوصية  
للانسان وقال أكثر المعتزلة هي أي اللغات اصطلاحية أي وضعها  
البشر واحد فأكثر وحصل عرفانها لغيره منه بالإشارة والقرينة  
كالطفل إذ يعرف لغة أبويه بهما واستدل لهذا القول بقوله تعالى  
وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أي بلغتهم فهي سابقة  
على البعثة ولو كانت توقيفية والتعليم بالوحي كالمظهر لتأخرت  
عنها اه من شرح جمع الجوامع ببعض تصريح وهو ظاهر لا يحتاج  
الى شرح

قالوا ان قاعدة اختلاف تظهر في جواز تغيير اللغة وعدم جوازه كأن  
تقلب الالفاظ عن موضوعاتها فتسمى الثوب فرسا أو بالعكس فهذا  
لا يجوز على القول بانها توقيفية من عند الله لان في القلب مخالفة  
لما أنزل الله ويجوز على القول بانها اصطلاحية فان تغيير  
الاصطلاح لا يمنع فيه وقد منعه السيوطي إذ قال ان اصطلاح  
اثني الآن على تسمية الثوب فرسا أو بالعكس لا يجوز قطعا أعني

ولو على القول بأن اللغات اصطلاحية وذلك منه نظرا الى أنه يؤدي الى اختلال نظام اللغة وهو مضر بالشرائع المدقونة وعندى ان السيوطى قد أصاب الغرض وقال العلامة البناني أما ما يتعلق بالحكام الشرعية التي مستندها الالفاظ فلا خلاف في تحريم قلبه لما يلزم عليه من تحايط الاحكام اه فتقوله التي مستندها الالفاظ صفة كاشفة للاحكام ولا يخفى أن الاحكام مستندة الى اللغة وتغيير شئ منها يؤدي الى تغيير الالفاظ الاحكام ان لم يكن تحقيقا فظنا اذ لا نعتى بالاحكام الا ما ورد به الكتاب والسنة والأخبار المأثورة وما استنبطه الأئمة المجتهدون وما ربحه العلماء الراسخون ويتبع ذلك ما علقوه من الشروح والحواشي فيدخل في ذلك كافة التفاسير وشروح الحديث بجملة أنواعها وكتب الفقه على اختلافها وما قيده العلماء من الالفاظ اللغة ومادقونه من سائر الفنون العربية خدمة للكتاب والسنة فان هذه الفنون ما وضعت الا تبيها لبيان أحكام الكتاب والسنة على الوجه الاكمل كما أن التفاسير وشروح الحديث والآثار وكتب الفقه ونحوها ما روعي فيها الا هذا القصد النبيل فكلها تابعة للاحكام وتابع الشئ يعطى حكمه ولا شك أن هذه المذكورات ما تركت من الالفاظ اللغة شيا الا وأنت عليه فالتغيير في اللغة والتحريف في شئ منها يؤدي الى التغيير والتحريف

فيها ان لم يكن تحقيقتنا فظننا وأنت تعلم ان سد باب الذرائع مما يجب  
سراعاته درأ للفساد من جميع مظانه ومحتملاته فإذا علمت ذلك تعلم حال  
اللغة العامية ومقامها من التغيير والتبديل والتخريف والتصنيف  
عما يطول شرحه ولا يأتي القلم على حصره

فان قلت اذا كان قلب ألفاظ اللغة متممها فلم جازت المجازات  
والكنايات وليست الا ألفاظا أوجلا استعملت في غير ما وضعت له  
من المعاني قلنا ان هذه من أوضاع اللغة التي لم يقل أحد  
بامتناعها لانها مبنية على أغراض صحيحة ولا يترتب عليها تغيير في  
جوهر اللغة فان لفظ أسد مثلا اذا استعمل في الرجل الشجاع مجازا  
كان لغرض المبالغة في مدحه بالشجاعة اذا اقتضى الحال ذلك مع  
ان اللفظ ماسخ عن معناه الاصلى بالكناية في المجاز بل لم يزل معناه  
مخفوضا يستعمل فيه في وقت ما ووفق بين هذا الغرض الصحيح  
وبين من يقصد باللغة تحريفها عن مواضعها الاصلية بحيث  
لا تعود تستعمل فيها لغرض سيئ يؤدي الى اختلال الافهام  
وتشويشها في سبيل ما ألفه الناس من لغتهم فان قيل ان مستعملي  
اللغة العامية بريئون من مثل هذه المقاصد السقيمة والاغراض  
الفاسدة لانهم ورثوها هكذا عن آبائهم قلنا ان الحكم يدور مع  
علته وجودا وعدما وعلة المنع في تغيير اللغة انما هو ما ينجم عنه

من تغيير نظام الاحكام الشرعية والآداب الملية وهذا كما يترتب  
على التغيير والتبديل عن غرض فاسد يترتب على مطلق التغيير  
وان لم يوجد هذا الغرض

لنعد الى سياق الكلام على الخلاف قالوا ودليل من يقول ان  
اللغات اصطلاحية قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان  
قومه) وتقرير وجه الدلالة أن رسول نكرة في سياق النفي فيصدق  
بأول رسول فيكون ارساله بلسان قومه أى لغتهم فتكون لغتهم  
سابقة على ارساله فلا تكون اللغات توقيفية اذ التعليم لا يكون  
الا بالوحى كما جرت به عادة الله فالو كانت توقيفية لتأخرت عن البعثة  
وقد فرض أنها سابقة عليها فيلزم الدور وهو محال اه

قلنا ان التخصيص بغير آدم عليه السلام قام عليه دليلان  
(أولهما) عقلي ومستنده الواقع فان آدم عليه السلام لم يبعث لتقوم كانوا  
قبله بلغتهم فتقولهم ان رسول المذكور فى الآية يصدق بأول رسول  
أعنى آدم عليه السلام يخالفه الواقع ونفس الامر وهم أنفسهم  
يعترفون بأن آدم عليه السلام هو أبو البشر ايس قبلا شئ من  
العائلات البشرية واغته علمه الله اياها وهى التى علمها أبناؤه ﷺ قال  
السيوطى فى كتاب الزهر وقال الزركشى فى البحر حكى الاستاذ أبو  
منصور قولاً أن التوقيف وقع فى الابتداء على لغة واحدة (يعنى هى

التي علمها الله آدم) وما سواها من اللغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى في أولاد نوح حين تفرقوا في أقطار الأرض قال وقد روى عن ابن عباس أول من تكلم بالعربية المحض اسمعيل وأراد بها عربية قريش التي نزل القرآن بها وأما عربية قحطان وجير فكانت قبل اسمعيل عليه السلام وقال في شرح الأسماء قال الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين من المفسرين انها كلها توقيف من الله تعالى اه

(وثانيهما) سمعي وهو قوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها» وحكمة ذلك التعليم ظاهرة واضحة إذ لو لم يعلمه تعالى أسماء الأشياء لما تأتى له عليه السلام ان يؤدى رسالته المبعوث بها والذي يظهر أن تعليمه الأسماء كان بالوحي ويجوز أن يكون أودع تعالى فيه عليه السلام علما ضروريا بالأسماء ومدلولاتها أما رسالته فهي بالوحي قطعا

وقد ذكر مثبتو كون اللغات توقيفية أدلة منها قوله تعالى «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» والمراد بالألسنة اللغات فانها محل الاستغراب والتعجب فكما أن خلق السموات والأرض أمر عجيب فوق قوة البشر بكثير ولا يقدر عليه الا الله تعالى فكذلك اختلاف الألوان والألسنة مقدر لله تعالى لا لسواه فهو تعالى خلق الألسنة المختلفة كما خلق الألوان والأرض والسموات

فليس شئ من ذلك مقدورا للبشر ههنا وبوجه الاستدلال بالآية  
الكرية

(ومنها) لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتج في الخطاب بوضعها الى  
اصطلاح آخر من لغة أو كتابة ويعود اليه الكلام ويلزم اما الدور  
أو التسلسل في الاوضاع وهو محال فلا بد من الانتهاء الى التوقيف  
اه

وهذا دليل قوى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولنشرحه  
بما يزيد وضوحا فنقول

ان واضع اللغة يحتاج في وضعه الى ثلاثة أمور لا بد منها أولها أن  
يتخيل المعاني وثانيها أن يستحضر الالفاظ التي تجعل بارزاء هذه  
المعاني أسماء لها وثالثها افهام المخاطبين بان هذه الالفاظ موضوعة  
لتلك المعاني كالأعلى حدثه فأما استحضار الالفاظ وتخييل المعاني  
فلئن أمكنا لشخص الواضع الآن افهام المخاطبين بمراده متعذر الا  
اذا كان هناك اصطلاح آخر من لغة أو كتابة باحدهما يتيسر له افهام  
المخاطبين بمراده فلو قلنا انه كان هناك اصطلاح آخر مما ذكرناه  
فلنا أن تتقل الكلام الى هذا الاصطلاح فان كان لغة أو كتابة  
فهو اما ان تكون بتوقيف من الله تعالى أو باصطلاح فان كانت  
بتوقيف من الله تعالى فقد ثبت المطالب وان كانت باصطلاح قلنا

ان هذا الاصطلاح يحتاج في وضعه أيضا الى خطاب وان الخطاب  
يحتاج الى توقيف أو اصطلاح فان انتهى الامر الى التوقيف ثبت  
المطلوب والا لزم التسلسل في الاصطلاحات الى غير النهاية لان كل  
اصطلاح يستلزم أن يكون قبله اصطلاح آخر والتسلسل محال لانه  
يؤدى الى وجود أشياء مترتبة بالتبعية والبعدية لانهاية لها فان انتهينا  
الى اصطلاح ليس العلة فيه اصطلاحا آخر يكون قبله لزم عليه  
اما كونه معلولا لنفسه أو كون اللغة التي يراد وضعها هي العلة  
فيه لانه لا يوجد معلول بدون علة وقد قلنا انه هو العلة فيها وهذا  
هو الدور والدور محال لما يلزم عليه من كون الشيء سابقا ومسبوqa  
أو علة ومعلولا في آن واحد وحينئذ فكل شيء يؤدى الى الدور  
أو التسلسل يكون محالا لان الواسطة الى المحال محال والذي أدى  
الى استلزام واحد منهما هنا انما هو التول بوجود اصطلاح لوضع  
اللغة فهو محال فثبت أن اللغة مسبوقه بالتوقيف ليس إلا هذا  
تقرير الدليل الذي أثبتناه هنا وهو دليل متين  
قال الخصم ان هذا الدليل منقوض فان الاصطلاح لا يستدعى  
تقديم اصطلاح آخر بدليل تعليم الوالدين الطفل دون سابقة  
اصطلاح سمعه اه  
قلنا ان هذا قياس مع الفارق فان والدى الطفل لهما لغة موجودة

فلهما اصطلاح في خطابه وتعليمه شيا فشيا الى أن يشب ويتزعرع  
بمخلاف الواضع فليس له لغة خاصة يعلمها الناس شيا فشيا ولئن  
سلمنا القياس فلا بد أن يكون الواضع بالنسبة لمن يضع لهم لغة  
كنسبة أبي الطفل اليه من جهة أبوته أو حكومته أو أى امتياز  
كان عنهم حتى يكون تعليمه آخذا على الدوام من-جا مستترا وان  
كان كذلك فلم لا يجوز أن نقول ان من توفرت فيه صفة من هذه  
الصفات سواء كان واحدا أو أكثر هو معلم من عند الله ومأمور  
بتعليم من هم تحت رعايته أو من له عليهم ولاية كما أوصفتها امتيازما  
والا لو كان من آحادهم بلا أمر يميزه عنهم فلا يأخذ تعليمه من-جا  
مستترا حيث تختلف عليه الآراء وتتباين الأهواء بين الجميع شأن  
الذين يرون أنفسهم متساوين في الدرجة والمنزلة هذا أمر يقضى  
به الوجدان ويشهد عليه العيان فهذا النقض من الخصم منقوض  
عليه ولنا أن نقرر هذا المطلب بنهج آخر فنقول

ان الواضع سواء كان واحدا أو أكثر لابد عند الوضع أن يكون  
أمامه من الناس من يقدر على افهامهم الالفاظ ومدلولاتها ليحفظوا  
كل لفظ إزاء ما يدل عليه نقول ان هذا ممكن في الالفاظ التي يضعها  
الواضع إزاء الأشياء المحسوسة كما اذا رأى فرسا مثلا وأشار للحاضرين  
عنده بأن هذا الحيوان يسمى فرسا اذ يكون حينئذ الاسم والمسمى

حاضرين عند المخاطبين مدركين لهم الاوّل بحاسة السمع والثاني بحاسة البصر أما المعاني التي لا تدرك بحاسة من الحواس ولا تكشف عن حقيقتها الاشارة بأى وجهه كان والحال أنها لم يكن لها اسم من قبل تعرف به عند المخاطبين فكيف يتأتى له حيثئذ أن يرسم صورها في تخيلاتهم رسماً يخصصها بمقتضاها ليجهل بأزائها أسماء تميزها باجناسها وأنواعها واصنافها انى لا أعد ذلك ممكناً البتة لكثرة المعاني وتعدد تصويرها بمجرد الاشارة والرموز اللهم الا أن يكون ذلك الواضع من أمهر المخترعين الذين يتقدرون أن يبتدعوا من الوهم آله (فوتو كرافية) لتصوير الاوهام وتجسيم المعاني للناظرين

فن هذا نرى أن الوضع البشرى لا يكون كافياً وحده لايجاد اللغات من القوة الى الفعل الا بتأييد من الله وارشاد منه يطريق الوحي والالهام ولانستبعد أن الذى علم الطير الطيران فى الهواء والسباحة فى الماء خلقه وطبعاً لا تطبع فيه هو الذى أنطق الانسان وعلمه البيان على اختلاف اصنافه وتباين لغاته ومن هذا كله تعلم فساد ما ذكره القائلون باصطلاحية اللغات وهو ما نقل عن ابن جنى عنهم قال وذلك أنهم ذهبوا الى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة قالوا وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الإبانة عن

الاشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا اذا ذكر عرف  
به سماء ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى سرة العين  
فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف احضاره لباعغ  
الغرض في ابانة حاله بل قد يحتاج في كثير من الاحوال الى ذكر  
مالا يمكن احضاره ولا ادناؤه كالقاني وحال اجتماع الضدين على  
المحل الواحد وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والتعذر تجراه  
فكأنهم جاؤا الى واحد من بني آدم فأومؤا اليه وقالوا انسان فأى  
وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق وان  
أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا الى ذلك فقالوا يد عين رأس قدم أو  
فحو ذلك ففى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا فيما  
سوى ذلك من الاسماء والافعال والحروف ثم لك أن تنقل هذه  
المواضع الى غيرها أى من اللغات اه

فهذا صريح فى أن طريق مواضعهم كانت أولا باحضار الاشياء  
المحسوسة وتسميتها بالفاظ تدل عليها حتى لا يحتاج فى الابانة عنها  
بعده هذه التسمية لاحضارها ثانية أمام الناظرين وان هناك أشياء  
لا يمكن احضارها وهى المعانى التى لا تحس والاشياء الفانية الى غير  
ذلك فأقول كيف تأتى لهم حينئذ أن يضعوا لها أسماء وهى غير  
مدركة ولا منظورة لهم جميعا وان أمكن أن يتصورها كل واحد

منهم على انفراد وان الاشارة وحدها غير كافية في تمييزها  
هذا على تسليم هذا الفرض الذي افترضوه من أن وضع اللغة كان  
بواسطة اجتماع حكيمين أو ثلاثة بهذه الكيفية زمن بدء الخليقة أو  
بعيدها بقليل فكأنهم فرضوا أيضا أن العالم الذي كانوا فيه قد  
أحسن بحاجاته الضرورية فشرع كل منهم في عمل يعود على  
الهيئة الاجتماعية بالمنافع وكان من نصيب هذين الحكيمين الفاضلين  
أو الثلاثة النضلاء أن يشتغلا بوضع اللغة خاصة ولكن فاتهم أن  
يقولوا أيضا بأنهما كانا يرجعان في مشروعاتهما هذا الجليل الى  
أعمال مرتبة ونظامات محكمة ووقت مخصوص وكان يرافقهما  
ثالث من جنسهما يقيد عليهما ما يدونون بقضيب فوق كتيب من  
رمل ولما أتموا وضع اللغة أقام لهما أهل المدينة أو الحلة التي هما  
فيها مهر جانا عظيما كان فيه من المصارعين عدد لا يحصى ثم التزما  
بعد ذلك أعمال اللغة وقصرا منافعها على أنفسهما حتى صار لا تذكر  
كلمة من اللغة الا ولهما عليها رسم مخصوص الى غير ذلك من المنافع  
والامتيازات التي كانت تعطى بحكم الطبيعة وقوانينها لامثال هؤلاء  
الحكام في هذه الأزمان الغابرة التي ما علق بثياب قدماء المؤرخين  
شيء من غبار اخبارها وما عثرنا بنياً من آثارها الى الآن . . . .  
فإذا كانت امثال هذه الخيالات الفاسدة مبلغ ما تصوّره القائلون

باصطلاحية اللغات فمثلهم ازاء تصور الحقائق مثل العوام العاكفين  
في قهاوى الحشيش ازاء سياسة اوروبا

فان كان لابد من فرض كيفية لمواضعة اللغة فاللازم عليهم أن  
لا يفرضوها بما لا يقبله عقل بل اللازم على مذهبهم في بيان كيفية  
حصول هذه المواضعة التي يدعونها على فرض صحتها أن يقال  
ان الانسان الاول لما نشأ على ظهر البسيطة مع قرين من نوعه يقاسمه  
المعيشة ويكون عوناً له على قضاء ما آربه من هذه الحياة ويقوم به  
أمر التناسل مست الحاجة الى واسطة بها يكون التفاهم بينهما  
على وجه يعلم به كل منهما مراد الآخر وما أكنه ضميره وتوجهت  
اليه حاجته ليتم الغرض المتصود من هذا القرين والا فلا تظهر  
لهذا الاشتراك فائدة بل لا تقوم له قائمة وكانا في بادئ الامر يسمعان  
دوى الريح وهزيم الرعد وخير الماء ونهيق الغراب وصهيل  
الفرس الى غير ذلك من الاصوات التي كانت توقظهما من النوم  
مثلا ان كانا نائمين وتستلنتهما الى التذكر ان كانا ساهيين فعلمنا  
من ذلك أن الاصوات أحسن الوسائل التي بها يستلفت أحدهما  
الآخر لما يرومه منه فكانا يتبادلان الاصوات لهذه الاغراض ثم  
تدرجاً من ذلك الى أن جعلها كعلامات للحاجات المختلفة والامور  
المتباينة ونوعاً ما الى صور وكميقات شتى بتنوع المرادات واختلاف

المقاصد وكانت هذه الاصوات في مبدأ الامر ساذجة فحكي  
الاصوات المار ذكرها ولا شك أن حالة الاجتماع بينهما كانت  
بسيطة وقتئذ لا تحتاج الى مزاولة أعمال كثيرة ومكابدة أشغال  
شاقة وتداول أمور متنوعة كما يحتاجه أدنى فرد من أفراد البشر  
الآن فكانت مرادياتهما المعاشية منحصرة في أمور طفيفة  
لا تستلزم الا أعمالا قليلة فكاننا لا يحتاجان الى كثرة التفتن في هذه  
الاصوات المفهمة ولا زيادة التمثل فيها فوق الحاجة وما حاجة من  
كانت الارض وطاءه والسماء غطاءه والكهوف والاعوار مأواه  
وورق الاشجار لباسه وأعشاب البرية غذاءه ومع مرور الايام  
ومر الازمان تنوعت حاجاتهم فتمتع ذلك تنوع هذه الاصوات  
في المخارج والكيفيات وصار المؤلف منها اسما لما قصدناه عند  
الاستعمال حتى نشأ بينهما من مجموع هذه الاصوات ما يسمى  
(الغة) ولا شك أن هذه اللغة كانت في مبدئها قاصرة على الالفاظ  
الدالة على الاشياء التي يكثر تداولها بينهما من منظورات  
ومسموعات وماوسات ثم توسعوا فيها الى ما هو أكثر من ذلك فعظم  
شأنها ووزنها انخلف عن السلف جيلا بعد جيل وما زال في كل عصر  
يضاف اليها موضوعات لم تكن من قبل الى ان صارت الى ما هي  
عليه الآن هذا هو اللازم على مذهبهم في بيان كيفية حصول

هذه المواضع فان كان هذا المثال الذي شرحناه لهم أنفسهم اعترفون به أيضا ولا إخطاء لهم الا كذلك حيث هو اللازم فرضه على جعل اللغات اصطلاحية نشأت من عدم الى وجود ومن قلة الى كثرة وارتقت من نقص الى كمال كما يزعم المادّيون في الكونيات النباتية والحيوانية وذلك بحكم التدرج الطبيعي قلنا لهم انه لا ينبغي لنا الآن أن نبادهكم بتزييف ما تذهبون اليه وتثابروا في نفوسكم من جهة اللغات وأطوار نشأتها الا اذا وقفنا على مذهبكم في تكون الكائنات فان كنتم ماديين تقولون بالنشء الطبيعي وأن تنازع البقاء والانتخاب الطبيعيين فقد سلطانهما حتى على اللغات بحكم التبعية للانسان وان حال ترقى اللغات من القلة الى الكثرة ومن النقص الى الكمال بتلك العوامل الطبيعية بواسطة هذه التبعية قلنا أولا ان مذهبنا واعتقادنا غير ما تذهبون وتعتقدون واسننا الآن في مقام الرد على مذهبكم واسننا لانسلم لكم أن اللغات في النشء مثلها مثل غيرها من الكائنات الاخرى والالظهر أثر لذلك في اللغة العربية مثلا فقد مضى عليها آلاف من السنين وهي بحالها ما زيد عليها وضع ولا ارتقت أساليبها الكلامية من نقص بين الى كمال أبين وان تفاوت الفصحاء فيها نقصا وكالا فان ذلك لا يخالو منه كل عصر من العصور وقد كان اللازم على مذهبكم أن تكون أساليبها

أكل منها في عصر دون آخر كما مطلقا نعم قالوا ان الجيرية تخالف  
المضرية في أشياء ولكن هذا ليس من باب تخالف النقص والكمال  
في شيء واحد بل هذا الاختلاف في جوهر اللغتين لاني الصفات  
العرضية كتخالف الاسكيزية والفرنساوية مثلا وان كان يصدق  
على كل من المضرية والجيرية اسم اللغة العربية وقد تنزل القرآن  
على أسلوب ما عهد العرب مثله من قبله ولا من بعده ولم يكن ذلك  
الكمال عن تدريج طبيعي بل دفعة واحدة معجزة للرسول عليه الصلاة  
والسلام فلو كان كمال اللغة لا يأتي الا من هذا الطريق أعني طريق  
الترقى الطبيعي لما جاء هذا الكمال دفعة واحدة على انكم تقولون  
ان هذا الترقى يؤل بالترقى الى الانتقال من نوع الى نوع آخر مع  
طول الزمان كما ترقى القرد الى الانسان ونحن ما وجدنا اللغة العربية  
مع طول العهد وبعد الامد تباينت أحوالها تباينا محسوسا ولا  
انتقلت الى لغة أخرى وهذه أشعار طسم وجد يس وهما أقدم  
العرب لا تخالف بالناظها وأساليبها شيئا من أشعار القبائل في عهده  
صلى الله عليه وسلم\* قال السيوطي في المزهري في طريق الاحتجاج  
بان اللغة توقيف من الله تعالى قال ابن فارس فان قال قائل  
أفتقولون في قولنا سيف وحسام وعضب الى غير ذلك من  
أوصافه (أى السيف) انه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا

عليه قيل له كذلك نقول والدليل على صحته اجماع العلماء على  
الاحتجاج باغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ثم احتجاجهم  
بأشهرهم ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في  
الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطالحنا على لغة اليوم  
ولا فرق وأهل ظاننا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما  
جاءت بجهة واحدة وفي زمان واحد وليس الامر كذلك بل وقف الله  
عز وجل آدم عليه السلام على ماشاء ان يعلمه اياه مما احتاج الى  
علمه في زمانه وانتشر من ذلك ماشاء الله ثم علم بعد آدم من عرب  
الانبياء صلوات الله عليهم نبييا نبيا ماشاء الله ان يعلمه حتى انتهى  
الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاتتاه الله من ذلك ما لم  
يؤته أحدا قبله تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ثم قر الامر  
قراره فلا نعلم من بعده لغة حدثت فان أهمل اليوم لذلك متهم وجد  
من نقاد العلم من ينفيه ويرده ولقد بلغنا عن أبي الاسود الدؤلي ان  
امرأكله يبهض ما أنكره أبو الاسود فسأله أبو الاسود عنه فقال  
هذه لغة لم تبلغك فقال له يا ابن أخي انه لا خير لك فيما لم يبلغني فعرّفه  
بلطف أن الذي تكلم به مشتق فانه لم يبلغنا ان قوما من العرب  
في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين  
عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم وقد كان في

الصحة رضي الله عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلام  
الشرعية مالا يخفاء به وما علمناهم اصطالحوا على اختراع لغة  
أو احداث لفظة لم تتقدمهم الى ان قال هذا كله كلام ابن  
فارس اه

فبان لك ان اللغة في كل زمن أمرها الى التوقيف وانها لم تتخذ طريق  
الترقى المعهود للاصطلاح أعني أن يزداد في المواضع عليها شيئاً فشيئاً  
كما يزداد على الصنائع والحرف في كل زمان ولا يحتج بأن التوقيف به في  
أزمان مختلفة إذ وقف عليها آدم ثم من بعده من عرب الانبياء  
وانتهى أمر التوقيف فيها الى نبينا صلى الله عليه وسلم فهذا يدل على  
انها على أقساط في كل حقبة من الزمان وكل قسط انما يصير التوقيف  
به دفعة واحدة وذلك كحال القرآن وأسلوبه الذي أعجز الفصحاء وبادههم  
كلامه فلم يأت من طريق ترقى اللغة من عصر الى عصر فعملنا أن كمال  
اللغة في الكرم والكيف لم يأت من هذا الطريق ولو كانت مواضع  
واصطلاحها لكان لها في كل زمان شأن جديد بالزيادة والكمال فان أمر  
الاصطلاح عليها لو قلنا به لا يتم في عصر واحد ولا يقف في زمن بل  
كان يستغرق الزمان كله ويدوم بدوام الانسان ولا ينقطع ولا يمكن  
ان يقوم به حكيمان أو ثلاثة من الحكماء كما مر عليك سابقاً فان  
قال القائلون باصطلاحية اللغة إنا من أهل القبلة لانقول بالنسبة

الطبيعي ولا نعتقده مذهبا لنابل نرد القول فيه على قائله ونؤمن بالله ونصدق بالنبوات ونعترف بالمعجزات ولا نميل الى طريق الترقى اللازم على مذهب الماديين في اللغات وغاية الامر ان نقول بان اللغات مثلها مثل الصنائع الوضعية وليست بتوقيف من الله تعالى قلنا فقد لزمكم ان لم تقولوا بان لغة آدم عليه السلام كانت بتعليم الله وحيا أو إلهاما أنه عليه السلام كان أولا يستعمل الاصوات السانحة التي شرحنا حالها للدلالة على أغراضه ويستعين بالإشارة على قضاء ما ربه وتبليغ ما أمر بتبليغه من الله تعالى ولا شك ان هذه الاصوات وتلك الاشارات غير كافية لطرق الدلالة وذلك يوجب القصور في تبليغ الرسالة فان قلتم ان الله تعالى قد خلق فيسه وفيمن بلغهم علما ضروريا بالافاظ وفهمها فذلك عينه قول بالتوقيف فان القائلين به في اللغات جعلوا من طرقة أن يخلق الله العلم الضروري بها في عباده

هذا وقد اطلعنا في كتاب المحكم لابن سيده على عبارة يؤيد بها قول من يقول بان اللغات توقيفية فمن عندي ان انتقالها بنصها وأنكلم عليها بكلام يقرب الافهام الى تفصيل ما تضمنته مجملها وهي

إذا تأملنا حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدنا فيها

من الحكمة والدقة والارهاف والرفقة ما علك علينا جانب الفكر حتى يطمح بنا أمام غلوة السحر فنسه مانبه عليه الاوائل من الخويين وحدها على أمثلتهم المتأخرون فعرفنا بتبينه وبعد هراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديعه منه ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بأنها من عند الله تبارك وتعالى فقوى في أنفسنا اعتقاد كونها توقيفا من الله وأنها وحى اه

رهف السيف كنع رفته كأرهم وكل هرامه غلوة والامد الغاية والمنتهى في كلام الشيخ خاص باللغة العربية لأنها لغته وموضوع كلامه ولأنها عند عارفها موضع الاسرار واللطائف الكلامية والرفائق الحكيمه فهى التى يظهر فيها أكثر من غيرها أنها من عند الله فالشيخ يقول انا اذا تأملنا فى حال اللغة العربية نجدها من لطف التعبير المنطوى على الاوضاع الحكيمه ودقائق الصناعة ورقة الاساليب على نهج يسبى العقول ويملك الفكرة فتقف حائرة حتى تنساق الى الحكيم بان ذلك من ضروب السحر بل غايته القصوى فى هذه الاسرار مانبه عليه الاوائل من النخاة وجاراهم فيه المتأخرون منهم فسكوشنا بصحة ما وفقهم الله لكشفه من هذه الدقائق وما قدموه منها للافهام وأسعدهم به الحظ حتى فرقوا بين

كل نوع منها وميزوه عن الآخر ودرّونا لذلك الكتب المطولة فلهم  
الفضل كل الفضل حيث أبانوا عما تشمل عليه اللغة من اللطائف  
ولولا هم لما انكشفت هذه الثنائس ولما زال الحجاب عن وجوه  
هذه المحاسن ولا عرفنا فضل اللغة التي لا يقدر على وضعها بهذا  
الاحكام العجيب الا ذو القدرة الباهرة فعلمنا أنها توقيف وقد  
أيدناه بما ورد من الاخبار الماثورة الدالة على أنها من عند الله فمنها  
(أخرج وكيع وابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله تعالى وعلم آدم  
الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ حتى البعير والبقرة والشاة) فلم  
يبق شك في كونها توقيفية

هذا كلام اجمالي نفصله بعض التفصيل فنقول  
انا اذا تأملنا في أوضاع اللغة العربية وأجلنا الفكرة في ميادين  
أساليبها الكلامية نراها قد وضعت على أحكام وضع وأحسن نظام  
قد اتخذت أساليبها خططا لا تتغير وهذا كل من أحكامها أخذوا  
لا يتبدل وهذه الخطط وتلك الاحكام لم تبني عليها اللغة جزافا بل  
لعلل وأسباب تظهر لمن يتدبر تلك الاحكام مثلا اذا قلنا ان الفاعل  
مرفوع هذا حكم مطرد في كل فاعل فالحكم بالرفع على الفاعل  
دون النصب مثلا هو مقتضى يرجع الامر فيه لترويح وجوه الدلالة  
في مثل هذا المقام وهذا المقتضى هو كون الفاعل أقوى حالا من

المفعول في الواقع ونفس الامر من جهة كونه هو المؤثر والمفعول هو المؤثر فيه فاقضى حاله أن يمتاز بأشرف الحركات كما يمتاز الملك مثلا بتاج الملك ليدل عليه به فهذا النوع من الدلالة الذي يتوصل اليه بالحركات فضلا عما للكلمات والتراكيب من المدلولات دليل على فضل اللغة التي كثرت مميزات وقربت فيها ما تحذف الدلالات للافهام من جميع الوجوه وسبب كون الرفع أشرف الحركات حتى تمتاز به العمد وبالجملة التفاضل بين الحركات لأشرف حقيقتها واقعية ترجع الى الخفة في النطق أو الثقل ونحو ذلك فما يذكره متأخرو النحاة من جعل ذلك مجرد نكات تلتبس بعد الوقوع وليست لاسباب حقيقية قصور في النظر وحط من قدر اللغة والا فهذه النكات عنوان على ما شتمت عليه اللغة من الاسرار وهكذا سائر الاحكام المندرجة في كافة الفنون العربية كلها ترشدك الى اسرار من هذا القبيل يرجع أمرها الى ترويح أحوال الدلالة المعنوية أو المحسنات اللفظية فلو خالفنا شيئا من هذه الاحكام انما الفائدة التي كانت تؤدي بهذا الحكم ويزيد بها الكلام جلاء ووضوحا عليك بعلمي المعاني والبيان تر العجب العجيب من هذا القبيل فان كان ذهنك يقصر عن ادراك اللطائف المعنوية فهذه البديع ومحسناته التي تكاد الالفاظ بها تشرب راحيبت في النفوس الميتة روحا

على أن هذه الفنون لم تستوعب أسرار اللغة جميعها فهناك أسرار لم يحجم حولها الباحثون في هذا البحر العباب وهذه الأسرار من قبيل ما لا تفصح عنه العبارات ولا يقف عليها الا النائي مع العرب أنفسهم والا فقارن بين شيء من شعر عربي جلف وبين أجود شعر لمن هو أعلم من الرنخسرى في الفنون العربية تجدونا بعيدا وفرقا مبينا فالعربي التبع ينطق بالنصيح (أى هكذا خاقت) وامام الفنون يأخذ كلامه ويحمله بحثا وتدقيقا ويرجع ما فيه الى فنونه الوضعية كلا الى نوعه فلا يجد فيه أدنى تخالف ثم يبقى عليه أشياء أخرى يدركها ذوقه من الكلام وتعجب بها نفسه بعجز عن الاقصاد عنها ولا يمكنه أن يأتي بها من طريق علمه ولو أعمل الفكرة وانتقى من الالفاظ ما يختارها ذوقه وأجهد نفسه في ذلك كل الجهد

فظهر لك من هذا أن الموضوع ليست اللغة وأساليبها الكلامية الطبيعية بل الموضوع هو الفنون المستنبطة منها ولو كانت اللغة وأساليبها من قبيل الصناعات لكان المبرزون في هذه الفنون أدخل في صناعات الشعر والنثر من العرب أنفسهم الذين لا يعرفون من هذه الفنون شيئا فان قلت ان العلم غير العمل قلنا ان الذين أفنوا أعمارهم في صناعات الانشاء علما وعملا من المولدين لم يبلغوا شيئا يذكر في جانب

العرب ولا يتجاوز ما يأتون به حد التقليد لمنشأهم فكلامهم على  
الدوام نازل عن شأو البلاغة العربية ومظنة الخطأ والغلط ولهذا  
لا يجوز الاستشهاد بكلامهم وان بلغوا ما بلغوا  
إلى هنا تم ما أردناه من سوق الدلائل القاطعة بان اللغات توقيفية  
ليس للبشر فيها جهل ولا اكتساب وهو آخر ما أردناه من مطالب  
هذه المقدمة والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد النبي  
الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم

يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العاهرة ببولاق مصر القاهرة  
الفقير إلى الله تعالى محمد الحسيني أعانه الله على أداء  
واجبه الكفائي والعيني

يا من حليت الانسان بأحسن البيان صل وسلم على نبيك الأكرم  
ورسولك السيد السند الأعظم سيدنا محمد سيد العرب والعجم الذي  
فضلت أمته على سائر الأمم وعلى آله وصحبه وتابعيه الذين أجهدوا  
أنفسهم في تدوين لغته هذه الشريفة العربية توصلاً لحفظ شريعته ومملته  
الحنيفية (أما بعد) فإن الله عزت حكمته فاضل في لغات عبادته بين  
الحسن والصحيح والضعيف وجعلها قابلة للتحرير والتحريف والتصحيف  
فتداخل بعضها في بعض حتى امتزج العربي بالعجمي والعجمي بالعربي  
واضحل بذلك أصلها وتغيرت صورتها وأشد اللغات في ذلك اللغة العربية  
فقد تبدلت في السنة العامة صورتها الأصلية بالكلمة وتحرقت كل  
التحريف مفرداتها ومسبباتها في جميع الأوضاع وعم ذلك جميع الأقطار  
العربية والبقاع حتى صار ما يتكلم به الناس الآن كأنه لغة أجنبية  
لانسبة بينه وبين العربية كالفارسية والتركية فاتدب بعض الأذكياء

الى بيان بعض الكلمات والتراكيب العامية ببيان تحريفها ووردها الى  
اللغة الاصمائية واستتبع ذلك حوض الناس على الاقبال بالكتابة الى تعلم  
اللغة العربية حيث ان حسن المحادثة وطلاوة الملاطفة وانسجام  
المتألفين المعرفة بجميع الاحكام انما تكون بساؤل أساليب العرب وعن  
جاري هؤلاء النجباء وسابق هؤلاء الاذكياء التحرير الذي لا يشق في ميدان  
الاذكياء غباره والنبراس الذي لا تخبوناره ولا تطفأ انواره منهل الفهوم  
الذي راق وصفنا الحسين النسيب أمين الكتبخانه المصرية السيد وفا  
فانه حفظه الله جمع في هذا المعنى كتابا حافظا يروى وارده ويحوى من لطائف  
النفائس كل شارده وسماه التحفة الوفائية في اللغة العامية ثم أتبعه بهذا  
الكتاب الرائق لرأيه من ذوى الالباب وسماه (مقدمة التحفة الوفائية)  
توصلا لاجتماع ثمرته الشهية ولما كان رأى العين أبهج من العسجد  
واللين بادرمؤلفه حفظه الله بطبعه رغبة في عموم نفعه بالمطبعة  
البهية بيولا ق مصر المهزية فتم بحمد الله معجبا بهذا الجمال مبتهجا بلطف  
الكامل ﴿ في ظل الحضرة الفخيمة والعواطف الرحمة حضرة المليك  
الاکرم والحيدوى الاعظم عزيز الديار المصرية وحامى حوزتها  
النيلية الذى لا يزال بين طلعتة هنى الخير على رعيتة يفيض ويهيم  
أفندينا المعظم عباس باشا حلى أيد الله دولته وقوى شوكته ووصلته  
شمو لا هذا الطبع الجميل والشكل الجميل ينظر من عليه جميل طبعه يثنى  
حضرة وكيل المطبعة محمد بيك حسنى فى أوائل محرم الحرام سنة ١٣١٠  
عشرة وثلاثمائة وألف من هجرة سيد الانام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
كلاذ كره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون